



# تعليم المتعلم طريق التعليم

تأليف

الإمام برهان الإسلام «الزرنوجي»

تلميذ صاحب الهداية

عني بشرحه وضبط الفاظه

عبد العزيز صقر شاهين

أحد علماء ومدرسي الأزهر الشريف

الناشر

مكتبة كتيب خزانة

مقابل آرام باغ - كراچی - ۱

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَ بَنِي آدَمَ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ عَلَى جَمِيعِ الْعَالَمِ، وَالصَّلَاةُ  
وَالسَّلَامُ عَلَى مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ يَتَابِعِ الْعُلُومِ  
وَالْحِكْمِ (وَبَعْدُ) فَلَمَّا رَأَيْتُ كَثِيرًا مِنْ تُلَّابِ الْعِلْمِ فِي زَمَانِنَا يَجِدُونَ إِلَى  
الْعِلْمِ وَلَا يَصِلُونَ، وَمِنْ مَنَافِعِهِ وَثَرَاتِهِ يُجَرِّمُونَ، لَمَّا أَنَّهُمْ أَخْطَأُوا طَرِيقَهُ  
وَتَرَكَوْا شَرِائِطَهُ، وَكُلُّ مَنْ أَخْطَأَ الطَّرِيقَ ضَلَّ، فَلَا يَنَالُ الْمَقْصُودَ، قُلْ  
أَوْجَلْ، أَرَدْتُ وَأَحْبَبْتُ أَنْ أُبَيِّنَ لَهُمْ طَرِيقَ التَّعْلِيمِ، عَلَى مَا رَأَيْتُ  
فِي الْكُتُبِ وَسَمِعْتُ مِنْ أَسَاتِيدِي أُولَى الْعِلْمِ وَالْحِكْمِ، رَجَاءَ الدُّعَاءِ لِي مِنَ  
الرَّاغِبِينَ فِيهِ الْمُخْلِصِينَ، بِالْفَوْزِ وَالْخَلَاصِ فِي يَوْمِ الدِّينِ، بَعْدَ مَا اسْتَخَرْتُ  
اللَّهَ تَعَالَى فِيهِ، وَسَمَّيْتُهُ «تَعْلِيمُ الْمُتَعَلِّمِ طَرِيقَ التَّعْلِيمِ» وَجَعَلْتُهُ فُضُولًا :

(فصل) فِي مَاهِيَةِ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ وَفَضْلِهِ (فصل) فِي النَّبَةِ فِي حَالِ التَّعْلِيمِ  
(فصل) فِي اخْتِيَارِ الْعِلْمِ وَالْأَسْتَاذِ وَالشَّرِيكِ وَالتَّبَاتِ

(فصل) فِي تَعْظِيمِ الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ (فصل) فِي الْجَدِّ وَالْمُواظَبَةِ وَالْمُهْمَةِ  
(فصل) فِي بَدَايَةِ السَّبْقِ وَتَرْتِيبِهِ وَقَدْرِهِ (فصل) فِي التَّوَكُّلِ  
(فصل) فِي وَقْتِ التَّحْصِيلِ (فصل) فِي الشَّفَقَةِ وَالنَّصِيحَةِ  
(فصل) فِي الْإِسْتِفَادَةِ (فصل) فِي الْوَرَعِ حَالِ التَّعْلِيمِ  
(فصل) فِيمَا يُورِثُ الْحِفْظَ وَفِيمَا يُورِثُ النِّسْبَانَ (فصل) فِيمَا يَجْلِبُ  
الرِّزْقَ وَمَا يَمْنَعُهُ، وَمَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ وَمَا يَنْقُصُ، وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ  
تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ

— فصل فِي مَاهِيَةِ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ وَفَضْلِهِ —

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ  
وَمُسْلِمَةٍ »

اعْلَمْ أَنَّهُ لَا يُفْتَرَضُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ طَلَبُ كُلِّ عِلْمٍ وَإِنَّمَا يُفْتَرَضُ عَلَيْهِ طَلَبُ  
عِلْمِ الْحَالِ (١)

فَإِنَّهُ يُقَالُ: أَفْضَلُ الْعِلْمِ عِلْمُ الْحَالِ، وَأَفْضَلُ الْعَمَلِ حِفْظُ الْحَالِ، وَيُقْتَرَضُ عَلَى الْمُسْلِمِ طَلَبُ مَا يَقَعُ لَهُ فِي حَالِهِ، فِي أَيْ حَالٍ كَانَ، فَإِنَّهُ لَا بَدَّ لَهُ مِنَ الصَّلَاةِ فَيُقْتَرَضُ عَلَيْهِ عِلْمُ مَا يَقَعُ لَهُ فِي صَلَاتِهِ بِقَدْرِ مَا يُؤَدِّي بِهِ فَرَضَ الصَّلَاةِ وَيَجِبُ عَلَيْهِ بِقَدْرِ مَا يُؤَدِّي بِهِ الْوَاجِبُ، لِأَنَّهُ مَا يُتَوَسَّلُ بِهِ إِلَى إِقَامَةِ الْقَرَضِ

كالإيمان ومعرفة أحكام العبادات والمعاملات الضرورية وطرائق السعي إلى الرزق والعمل لاكتساب ما يحفظ الرق، فلاجل أن يكون مؤمنا يجب أن يتعلم ما يصل به إلى الإيمان من علم أصول الدين، ولاجل أن يعرف ما فرضه الله عليه من واجبات، يجب أن ينظر في علم الفقه ليعرف حدود ذلك ولاجل أن يتعرف سبل السعي إلى الرزق والحصول على المعاش يجب أن يتعلم من علوم الحياة ما يستطيع فعله.

فالقرض الذي يرمى إليه الدين الإسلامي هو الوصول بالإنسان إلى السعادة في الدنيا والآخرة.

قال الله عز وجل: «فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ» سورة الجمعة: آية (١٠)

وجاء فيما رواه البيهقي من الحديث الشريف أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تعلّموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ثم اتّهموا، وتعلّموا من العربية ما تعربون به كتاب الله ثم اتّهموا، وتعلّموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر ثم اتّهموا».

يَكُونُ قَرْضًا، وَمَا يُتَوَسَّلُ بِهِ إِلَى إِقَامَةِ الْوَاجِبِ يَكُونُ وَاجِبًا. وَكَذَلِكَ فِي الصَّوْمِ وَالزَّكَاةِ، إِنْ كَانَ لَهُ مَالٌ، وَالْحَجُّ إِنْ وَجِبَ عَلَيْهِ. وَكَذَلِكَ فِي الْبُيُوعِ إِنْ كَانَ يَتَجَرُّ

قِيلَ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ (١) رَحِمَهُ اللَّهُ: أَلَا تُصَنِّفُ كِتَابًا فِي الزُّهْدِ؟ قَالَ: صَنَّفْتُ كِتَابًا فِي الْبُيُوعِ! يَعْنِي الزَّاهِدُ هُوَ مَنْ يَتَحَرَّزُ عَنِ الشُّبُهَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ فِي التَّجَارَاتِ، وَكَذَلِكَ فِي سَائِرِ الْمُعَامَلَاتِ وَالْحَرَفِ. وَكُلُّ مَنْ اشْتَغَلَ بِشَيْءٍ مِنْهَا يُقْتَرَضُ عَلَيْهِ عِلْمُ التَّحَرُّزِ عَنِ الْحَرَامِ فِيهِ. وَكَذَلِكَ يُقْتَرَضُ عَلَيْهِ عِلْمُ أَحْوَالِ الْقَلْبِ: مِنَ التَّوَكُّلِ، وَالْإِنَابَةِ، وَالْحَشْيَةِ، وَالرِّضَا، فَإِنَّهُ وَقَعَ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ.

وَشَرَفُ الْعِلْمِ لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ؛ إِذْ هُوَ الْمُخْتَصُّ بِالْإِنْسَانِيَةِ لِأَنَّ جَمِيعَ الْخِصَالِ سِوَى الْعِلْمِ يَشْتَرِكُ فِيهَا الْإِنْسَانُ وَسَائِرُ الْحَيَوَانَاتِ كَالشَّجَاعَةِ وَالْجَرَاءَةِ، وَالْقُوَّةَ، وَالْجُودَ، وَالشَّفَقَةَ وَغَيْرَهَا سِوَى الْعِلْمِ؛ وَبِهِ أَظْهَرَ اللَّهُ تَعَالَى فَضْلَ

(١) محمد بن الحسن: يصله بأبي خنيفة صلة قرابة وهو من تلاميذ أبي يوسف

فَإِنْ فَتِيهَا وَاحِدًا مُتَوَرِّعًا أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنَ أَلْفِ عَابِدٍ (١)  
وَكَذَلِكَ فِي سَائِرِ الْأَخْلَاقِ نَحْوُ الْجُودِ وَالْبُخْلِ وَالْجَبْنِ وَالْجَرَأَةِ وَالتَّكْبَرِ  
وَالْتَوَاضُعِ وَالْعِفَّةِ وَالْإِسْرَافِ وَالتَّقْوَى وَغَيْرَهَا، فَإِنَّ الْكِبَرَ وَالْبُخْلَ وَالْجَبْنَ  
وَالْإِسْرَافَ حَرَامٌ؛ وَلَا يُمَكِّنُ التَّحَرُّزُ عَنْهَا إِلَّا بِمِلْهَا وَعِلْمٍ مَا يُضَادُّهَا،  
فَيَفْتَرِضُ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ عَلَيْهَا. وَقَدْ صَنَّفَ السَّيِّدُ الْإِمَامُ الْأَجَلُ الشَّهِيدُ  
قَاصِرُ الدِّينِ أَبُو الْقَاسِمِ كِتَابًا فِي الْأَخْلَاقِ، وَنَعَمَ مَا صَنَّفَ، فَيَجِبُ عَلَى  
كُلِّ مُسْلِمٍ حِفْظُهَا

وَأَمَّا حِفْظُ مَا بَقِيَ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ فَعَرَضُ عَلَى سَبِيلِ الْكِفَايَةِ، إِذَا  
قَامَ بِهِ الْبَعْضُ فِي الْبَلَدَةِ سَقَطَ عَنِ الْبَاقِينَ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْبَلَدَةِ مَنْ يَقُومُ

(١) ليس المراد بالألف تحديد العدد، بل بيان الكثرة. وإنما كان الفقيه  
المتورع الواحد أشد على الشيطان من كثير من العابدين غير الفقهاء لأن الفقيه  
على بينة من الحلال والحرام فلا يستطيع الشيطان أن يضلّه، أما العابد غير الفقيه  
فهو يبعد الله على غير بصيرة، فمن الهين على الشيطان أن يورطه في الضلال دون  
أن يشعر، ومن السهل أن يوقعه في جائل متشابكة من اللعب والفكر.

آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ؛ وَأَمَرَهُمْ بِالسُّجُودِ لَهُ (١) وَإِنَّمَا شَرَفُ  
الْعِلْمِ لِكَوْنِهِ وَسِيلَةً إِلَى التَّقْوَى الَّتِي يَسْتَحِقُّ بِهَا الْمَرَّةَ الْكَرَامَةَ عِنْدَ اللَّهِ  
تَعَالَى وَالسَّعَادَةَ الْأَبَدِيَّةَ؛ كَمَا قِيلَ لِمُحَمَّدٍ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ:  
تَعَلَّمْ فَإِنَّ الْعِلْمَ زِينٌ لِأَهْلِهِ وَفَضْلٌ وَعُنوانٌ لِكُلِّ مُحَامِدٍ (٢)  
وَكَنْ مُسْتَفِيدًا كُلَّ يَوْمٍ زِيَادَةً مِنَ الْعِلْمِ وَأَتَسَبَّحْ فِي بُحُورِ الْفَوَائِدِ (٣)  
تَفَقَّهُ فَإِنَّ الْفَقْهَ أَفْضَلُ قَائِدٌ إِلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَأَعْدَلُ قَاصِدٌ (٤)  
هُوَ الْعِلْمُ الْهَادِي إِلَى سَنَنِ الْهُدَى هُوَ الْحِصْنُ يُنَجِّي مِنْ جَمِيعِ الشَّدَائِدِ (٥)

(١) حيث قال عز وجل: «وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين» سورة البقرة آية (٣١)  
وأمرهم بالسجود له في قوله تعالى: «واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس» سورة البقرة آية (٣٤). والسجود معناه الخضوع  
(٢) المحامد جمع محمدة بفتح الميم مصدر ميمي بمعنى المحمودة: بمعنى أن العلم  
دليل على أن صاحبه ذو فضل عظيم وأخلاق كريمة وخصال محمودة  
(٣) أي في الفوائد التي كالبحور كثرة وعظما وفيه إشارة إلى قوله تعالى:  
«وقل رب زدني علما» سورة طه، آية (١١٤)  
(٤) قاصد: عادل (٥) السنن بفتح السين: الطريق



بِهِ اشْتَرَكُوا جَمِيعًا فِي الْمَأْتَمِ (١) فَيَجِبُ عَلَى الْإِمَامِ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِذَلِكَ وَيُنَجِّبُ أَهْلَ الْبَلَدَةِ عَلَيْهِ ، وَقَدْ قِيلَ : إِنْ عِلِمَ مَا يَقَعُ عَلَى نَفْسِهِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ هُوَ بِمَنْزِلَةِ الطَّعَامِ لِأَبَدٍ لِكُلِّ وَاحِدٍ (٢) مِنْهُ ، وَعِلِمُ مَا يَقَعُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ بِمَنْزِلَةِ الدَّوَاءِ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ حِينَ الْمَرَضِ فَقَطْ . وَعِلِمُ النُّجُومِ (٣) بِمَنْزِلَةِ

(١) المأتم : الإثم والمعصية . وإنما اعتبر الجميع مشتركين في الإثم والمعصية بترك ما يحتاج إليه الفرد في بعض الأحيان لأنه مصلحة عامة ، فإذا انقطعت حاجة الفرد إليها في بعض الأحيان ، لحاجة المجموع إليها دائمة لاتنقطع .

(٢) يتلخص معنى هذه العبارة في أن من العلوم ما هو ضروري للرب لا يستطيع أن يؤدي واجباته الدينية والدنيوية إلا به ، كما لا يستطيع أن يعيش بدون طعام يقيم به أوده ويسد رمقه . فتعلم مثل هذه العلوم واجب شرعا على كل فرد بعينه ، ومنها ما قد يحتاج إليه في بعض الأحيان ، كما يحتاج الإنسان إلى الدواء حين المرض ، فتعلم مثل هذه العلوم لا يجب على كل فرد بعينه ، ولكن يجب أن يكون في كل جماعة عدد من العارفين بها يكفي لسد حاجة هذه الجماعة إليها ، فمثلا لا يجب على كل فرد أن يكون طبيا ، ولكن يجب أن يكون في كل جماعة عدد من الأطباء يكفي لعلاج من يمرض منهم .

(٣) يظهر أن المؤلف لا يقصد بعلم النجوم علم الفلك بدليل قوله : : والحرب من قضاء الله غير ممكن ... ، فإن علم الفلك لا يبحث في وسائل الحرب من قضاء الله ، وإنما هو علم يبحث في عالم الكواكب والأفلاك ، ونظام سيرها ، وقواعد

المرضى فتعلمه حرام لأنه يضر ولا ينفع ، والحرب من قضاء الله تعالى وقدره غير ممكن ، فينبغي لكل مسلم أن يشتغل في جميع أوقاته بذكر الله تعالى والدعاء والتضرع وقراءة القرآن والصدقات الدافعة للبلاء ، ويسأل الله تعالى العفو والعافية في الدنيا والآخرة ، ليصونه الله تعالى عن البلاء والآفات ، فإن من رزق الدعاء ، لم يحرم الإجابة ، فإن كان البلاء مقدرًا يصبه لأحالة ، لكن ييسره الله عليه ، ويرزقه الصبر ببركة الدعاء اللهم إلا إذا تعلم من النجوم قدر ما يعرف به القبلة وأوقات الصلاة فيجوز ذلك

الجاهلية بينها ، وأوقات شروقها وغروبها ... وغير ذلك مما يحتاج إليه أشد الاحتياج في كثير من الشؤون الدينية والدنيوية ، ومن يطلع على أبحاث الفلكيين الدقيقة لا يسهو إلا أن يخر ساجدا لحالق هذا العالم الذي يهر العقول وبدش الأبواب قال الله تعالى : : إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبواب ، سورة آل عمران ، آية (١٩٠)

وقال صلى الله عليه وسلم : (تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ثم اتهاوا وتعلموا من العربية ما تعرفون به كتاب الله ثم اتهاوا ، وتعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر ثم اتهاوا) .

وَأَمَّا تَعْلُمُ عِلْمَ الطَّبِّ فَيَجُوزُ لِأَنَّهُ سَبَبٌ مِنَ الْأَسْبَابِ ، فَيَجُوزُ تَعْلُمُهُ  
كَسَائِرِ الْأَسْبَابِ ، وَقَدْ تَدَاوَى النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ . وَقَدْ حُكِيَ  
عَنِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَالَ : الْعِلْمُ عِلْمَانِ : عِلْمُ الْفَقْهِ لِلْأَدْبَانِ  
وَعِلْمُ الطَّبِّ لِلْأَبْدَانِ ، وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ بَلَنَّهُ مَجْلِسٌ (١)

وَأَمَّا تَفْسِيرُ الْعِلْمِ فَهُوَ صِفَةٌ يَتَجَلَّى بِهَا لِمَنْ قَامَتْ هِيَ بِهِ الْمَذْكُورُ (٢)  
كَأَنَّ هُوَ . وَالْفَقْهُ : مَعْرِفَةُ دَقَائِقِ الْعِلْمِ مَعَ نَوْعٍ (٣) عِلَاجٍ . قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ  
رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ : الْفَقْهُ مَعْرِفَةُ النَّفْسِ مَا لَهَا وَمَا عَلَيْهَا . وَقَالَ : مَا الْعِلْمُ إِلَّا الْعَمَلُ بِهِ  
وَالْعَمَلُ بِهِ تَرْكُ الْعَاجِلِ لِلْآجِلِ . فَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَلَّا يَغْفُلَ عَنْ نَفْسِهِ

(١) بلغة مجلس : كفاية مجلس ، أى يكتفى للتحدث به فى المجلس

ولو صح أن الإمام الشافعى رضى الله عنه قال هذا فليس يقصد منه أن غير  
هذين العليين لا فائدة منه سوى التحدث به فى المجالس ، وإنما يقصد أنه يجب  
وجوباً عالياً على كل فرد أن يعرف من الفقه ما يستقيم به دينه وتصح عبادته  
ومن علم الطب ما يحفظ به صحته وينتق أسباب الأمراض وهو ما يسمى بعلم تدبير  
الصحة ، وما عدا هذين العليين فهو واجب وجوباً كفائياً

(٢) المذكور : أى ما يتعلق به العلم : كما هو : أى على حقيقته

(٣) هذا تعريف للفقه بالمعنى اللغوى العام الذى يشمل كل العلوم

وَمَا يَنْفَعُهَا وَمَا يَضُرُّهَا فِي أَوَّلَاهَا وَآخِرَاهَا ، فَيَسْتَجْلِبُ مَا يَنْفَعُهَا وَيَجْتَنِبُ  
مَا يَضُرُّهَا كَيْلًا يَكُونُ عَقْلُهُ وَعَلَيْهِ حُجَّةٌ عَلَيْهِ فَيَزِدُّهُ عَقُوبَةً ، نَعُوذُ بِاللَّهِ  
مِنْ سُخْطِهِ وَعِقَابِهِ

وَقَدْ وَرَدَ فِي مَنَاقِبِ الْعِلْمِ وَفَضَائِلِهِ آيَاتٌ وَأَخْبَارٌ صَحِيحَةٌ مشهورة لم نستغل  
بذكرها كثيراً بطول الكتاب (١)

### (فصل فى النية حال التعلم)

ثُمَّ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ النِّيَّةِ فِي زَمَانِ تَعْلِمِ الْعِلْمِ ، إِذِ النِّيَّةُ هِيَ الْأَصْلُ فِي جَمِيعِ  
الْأَحْوَالِ ، لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، حَدِيثٌ

(١) قال تعالى : د قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ؟ إِنَّمَا  
يُتَذَكَّرُ أُولَئِكَ أَلْبَابٌ ، سورة (الزمر) آية (٩)  
وقال عز وجل : د يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ،  
سورة المجادلة آية (١١)

وقال عز وجل : د يُوَفِّي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا  
كَثِيرًا وَمَا يَذَكَّرُ إِلَّا أُولَئِكَ أَلْبَابٌ ، سورة البقرة آية (٢٦٩) وجاء فى البخارى  
أن النبى صلى الله عليه وسلم قال د من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين - خير الدنيا  
والآخرة مع العلم ، وشر الدنيا والآخرة مع الجهل ،

صَحِيحٌ، وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَمْ مِنْ عَمَلٍ يَتَصَوَّرُ بِصُورَةِ  
أَعْمَالِ الدُّنْيَا وَيَصِيرُ بِحَسَنِ النَّيَّةِ مِنْ أَعْمَالِ الْآخِرَةِ، وَكَمْ مِنْ عَمَلٍ يَتَصَوَّرُ  
بِصُورَةِ أَعْمَالِ الْآخِرَةِ، ثُمَّ يَصِيرُ مِنْ أَعْمَالِ الدُّنْيَا بِسُوءِ النَّيَّةِ، وَيَنْبَغِي أَنْ  
يَنْوِيَ الْمُتَعَلِّمُ بَطَلَبِ الْعِلْمِ رِضَاءَ اللَّهِ تَعَالَى وَالنَّارَ الْآخِرَةَ وَإِزَالَةَ الْجَهْلِ عَنْ  
نَفْسِهِ وَعَنْ سَائِرِ الْجُهَالِ وَإِحْيَاءَ الدِّينِ وَإِبْقَاءَ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّ بَقَاءَ الْإِسْلَامِ  
بِالْعِلْمِ وَلَا يَصِحُّ الزُّهْدُ وَالتَّقْوَى مَعَ الْجَهْلِ، أَشَدُّنِي الْأُسْتَاذُ الشَّيْخُ الْإِمَامُ  
الْأَجَلُ بُرْهَانُ الدِّينِ صَاحِبُ الْهُدَايَةِ لِبَعْضِهِمْ:

فَسَادَ كَبِيرُ عَالَمٍ مُتَهَكِّكٌ وَأَكْبَرُ مِنْهُ جَاهِلٌ مُتَمَسِّكٌ  
هُمَا فِتْنَةٌ فِي الْعَالَمِينَ عَظِيمَةٌ لِمَنْ فِيهِمَا فِي دِينِهِ يَتَمَسَّكُ

وَيَنْوِي بِهِ الشُّكْرَ عَلَى نِعْمَةِ الْعَقْلِ، وَصِحَّةِ الْبَدَنِ وَلَا يَنْوِي بِهِ إِقْبَالَ  
النَّاسِ إِلَيْهِ، وَلَا اسْتِجْلَابَ حُطَامِ الدُّنْيَا، وَالْكَرَامَةِ عِنْدَ السُّلْطَانِ وَغَيْرِهِ  
قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَوْ كَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ عِبِيدِي لَأَعْتَقْتَهُمْ وَتَبَرَّأْتُ  
عَنْ وَلَائِهِمْ. وَذَلِكَ لِأَنَّ مَنْ وَجَدَ لَذَّةَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ بِهِ قَلْبًا يَرْغَبُ فِيهَا

عِنْدَ النَّاسِ

أَشَدُّنَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْأَجَلُ الْأُسْتَاذُ قَوَامُ الدِّينِ حَمَادُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ  
إِسْمَاعِيلَ الصَّفَّارِ الْأَنْصَارِيِّ إِمْلَاءً لِأَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى شِعْرًا:

مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِلْعِبَادِ فَازَ بِفَضْلِ مِنَ الرَّشَادِ

فِي الْخَيْرَاتِ طَالِبِيهِ لَنِيْلٍ فَضْلٍ مِنَ الْعِبَادِ

اللَّهُمَّ إِلَّا إِذَا طَلَبَ الْجَاهُ لِلْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَنْفِذِ  
الْحَقِّ وَإِعْزَازِ الدِّينِ، لَا لِنَفْسِهِ وَهَوَاهُ، فَيَجُوزُ ذَلِكَ بِقَدْرِ مَا يُقِيمُ بِهِ الْأَمْرَ  
بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ. وَيَنْبَغِي لَطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَتَفَكَّرَ فِي ذَلِكَ فَإِنَّهُ

يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ بِجُهِدٍ كَثِيرٍ فَلَا يَصْرِفُهُ إِلَى الدُّنْيَا الْحَقِيرَةِ الْقَلِيلَةِ الْغَايَةِ

هِيَ الدُّنْيَا أَقْلُ مِنَ الْقَلِيلِ وَعَاشِقُهَا أَذْلُ مِنَ الذَّلِيلِ

تُصِمُّ بِسِحْرِهَا قَوْمًا وَتُعْمِي فَهْمَ مُتَحِيرُونَ بِلَا دَلِيلِ

وَيَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يَذِلُّ نَفْسَهُ بِالْعَطْمِ فِي غَيْرِ مَطْمَعٍ، وَيَتَحَرَّزَ عَمَّا فِيهِ مَذَلَّةُ  
الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ، وَيَكُونُ مُتَوَاضِعًا، وَالتَّوَاضُّعُ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْمَذَلَّةِ وَالْعِفَّةِ،



وَيَعْرِفُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ الْأَخْلَاقِ

أَشَدُّ الشَّيْخِ الْإِمَامُ الْأَجَلُ الْأَسْتَاذُ رُكْنُ الْإِسْلَامِ الْمَعْرُوفُ بِالْأَدِيبِ  
الْمُخْتَارِ رَحِمَهُ اللَّهُ شِعْرًا لِنَفْسِهِ :

إِنَّ التَّوَّاضِعَ مِنْ خِصَالِ الْمُتَّقِي      وَبِهِ التَّقِيُّ إِلَى الْمَعَالِي يَرْتَقِي  
وَمِنْ الْعَجَائِبِ عَجَبٌ مِنْ هُوَ جَاهِلٌ      فِي حَالِهِ أَهْوَى السَّعِيدُ أَمِ الشَّقِي  
أَمْ كَيْفَ يَخْتَمُ عَمْرُهُ أَوْ رُوحُهُ      يَوْمَ النَّوَى مُتَسَفِّلٌ أَوْ مُرْتَقِي  
وَالْكِبَرِيَاءُ لِرَبِّهَا صِفَةٌ بِهِ      تَخْصُوصَةٌ فَتَجَنَّبَهَا وَاتَّقِي

قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ لِأَصْحَابِهِ : عَظُمُوا عَمَائِكُمْ ، وَوَسَّعُوا أَلِفَكُمْ (١)  
وَأَمَّا قَالَ ذَلِكَ لِئَلَّا يَسْتَخَفَّ بِالْعِلْمِ وَأَهْلِهِ . وَيَنْبَغِي لَطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَحْصُلَ  
عَلَى كِتَابِ الْوَصِيَّةِ الَّتِي كَتَبَهَا أَبُو حَنِيفَةَ لِيُونُسَ بْنِ خَالِدِ السَّمْعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ  
عَلَيْهِ عِنْدَ الرَّجُوعِ إِلَى أَهْلِهِ : يَجِدُهُ مَنْ يَطْلُبُهُ . وَقَدْ كَانَ أَسْتَاذَنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ

(١) المقصود من هذا أنه ينبغي للتعلم أن يظهر بالمظهر الذي يكتبه الإجلال  
والاحترام تعظيماً للعلم وإكباراً لشأنه .

بِرَهَانِ الْأَثَمَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي بَكْرٍ قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ الْعَزِيزِ أَمْرِي بِكِتَابَتِهِ عِنْدَ  
الرَّجُوعِ إِلَى بَلَدِي وَكَتَبْتُهُ ، وَلَا يَدُ لِلدُّرُسِ وَالْمُفْتَى فِي مُعَامَلَاتِ النَّاسِ مِنْهُ

﴿ فصل في اختيار العلم والأستاذ والشريك والوثبات ﴾

يَنْبَغِي لَطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَخْتَارَ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ أَحْسَنَهُ (١) وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي أَمْرِ  
دِينِهِ فِي الْحَالِ . ثُمَّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الْمَالِ ، فَيَقْدِمُ عِلْمَ التَّوْحِيدِ وَالْمَعْرِفَةِ ، وَيَعْرِفُ  
أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بِالْدَّلِيلِ ، فَإِنْ إِيْمَانُ الْمُقْلِدِ وَإِنْ كَانَ صَحِيحًا عِنْدَنَا لَكِنْ يَكُونُ أَمَّا  
بِتَرْكِ الْأَسْتِدْلَالِ (٢) وَيَخْتَارُ الْعَتِيقَ (٣) دُونَ الْمُحَدِّثَاتِ قَالُوا : عَلَيْكُمْ بِالْعَتِيقِ

(١) أحسن كل علم ما كان من جودته وصريحته ، وخلص من المناقشات  
والخلافات . قال الشاعر :

ما حوى العلم جميعاً أحد لا ، ولو مارسه ألف سنة  
إنما العلم بعيد غوره نغذوا من كل علم أحسنه

(٢) أى معرفة الدليل . وأفضل الأدلة في ذلك ما كان فطرياً بسيطاً كذلك  
الدليل الناصع الذي قاله الأعرابي في لهجة قوية صريحة : البعرة تدل على البعير  
والأثر يدل على المسير ، فأرض ذات فجاج ، وسماء ذات أبراج ، أفلا تدل  
على العلى التقدير ؟

(٣) يريد بالعتيق ما تم الاتفاق عليه بعد أن قام البرهان القاطع على صحته ، ويريد  
بالحديث ما يزال الخلاف فيه محتوماً ولم تنفك أدلة الآراء المتصادمة فيه بنقض



وَأَيَّاكُمْ وَالْمُحَدَّثَاتِ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَشْتَغَلَ بِهَذَا الْجَدَلِ الَّذِي ظَهَرَ بَعْدَ انْقِرَاضِ  
الْأَكْبَرِ مِنَ الْعُلَمَاءِ فَإِنَّهُ يُبْعِدُ الطَّالِبَ عَنِ الْفَقْهِ ، وَيُضِيعُ الْعُمْرَ ، وَيُورِثُ  
الْوَحْشَةَ وَالْعَدَاوَةَ وَهُوَ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ <sup>(١)</sup> وَارْتِفَاعِ الْعِلْمِ وَالْفَقْهِ  
كَذَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ <sup>(٢)</sup> وَأَمَّا اخْتِيَارُ الْأُسْتَاذِ فَيَنْبَغِي أَنْ يَخْتَارَ الْأَعْلَمُ  
وَالْأَوْعَى وَالْأَسَنُّ ، كَمَا اخْتَارَ أَبُو حَنِيفَةَ حَمَادُ بْنُ سُلَيْمَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ بَعْدَ  
التَّأَمُّلِ وَالتَّفَكُّرِ وَقَالَ : وَجَدْتُهُ شَيْخًا وَقُورًا حَلِيمًا صَبُورًا . وَقَالَ : ثَبَتَ عِنْدَ  
حَمَادِ بْنِ سُلَيْمَانَ فَنَمِيتُ . قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ سَمِعْتُ حَكِيمًا مِنْ حُكَمَاءِ سَمُرَقَنْدٍ يَقُولُ  
إِنَّ وَاحِدًا مِنْ طَلَبَةِ الْعِلْمِ شَاوَرَنِي فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ، وَكَانَ عَازِمًا عَلَى الذَّهَابِ  
إِلَى بُخَارَى لَطَلَبِ الْعِلْمِ - وَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُشَاوَرَ فِي كُلِّ أَمْرٍ ، فَإِنَّ اللَّهَ

بعضها بعضا ، وذلك لانه لا ينبغي للتعلم أن يعتقد شيئا قبل أن يقوم البرهان على صحته

- (١) أشرط جمع شرط بفتح الشين والراء العلامة . أى علامات يوم القيامة
- (٢) يشير إلى ما رواه الديلمى عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « تعلموا العلم قبل أن يرفع ، فإن أحدكم لا يدري متى يفترق إلى ما عنده وعليكم بالعلم ، وإياكم والتطلع والتبدع والتعق ، وعليكم بالعتيق ،

تَعَالَى أَمَرَ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمُشَاوَرَةِ فِي كُلِّ الْأُمُورِ ، وَلَمْ يَكُنْ  
أَحَدٌ أَفْطَنَ مِنْهُ ، وَمَعَ ذَلِكَ أَمَرَ بِالْمُشَاوَرَةِ وَكَانَ يُشَاوِرُ أَصْحَابَهُ فِي جَمِيعِ  
الْأُمُورِ حَتَّى حَوَاجِ الْبَيْتِ قَالَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ : مَا هَلَكَ أَمْرٌ عَنْ  
مَشُورَةٍ وَقِيلَ : النَّاسُ رَجُلٌ وَنِصْفُ رَجُلٍ وَلَا شَيْءَ ، فَالرَّجُلُ مَنْ لَهُ رَأْيٌ  
صَائِبٌ وَيُشَاوِرُ ، وَنِصْفُ الرَّجُلِ مَنْ لَهُ رَأْيٌ صَائِبٌ ، وَلَكِنْ لَا يُشَاوِرُ  
أَوْ يُشَاوِرُ وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لَهُ ، وَلَا شَيْءَ مِنْ لَوْ رَأَى لَهُ وَلَا يُشَاوِرُ . قَالَ  
جَعْفَرُ الصَّادِقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ : شَاوِرْ فِي أَمْرِكَ الَّذِينَ  
يَخْشَوْنَ اللَّهَ تَعَالَى - وَطَلَبُ الْعِلْمِ مِنْ أَعْلَى الْأُمُورِ وَأَصْعَبُهَا فَكَانَتِ الْمُشَاوَرَةُ  
فِيهِ أَمْرًا وَأَوْجَبَ <sup>(١)</sup> - قَالَ الْحَكِيمُ : إِذَا ذَهَبْتَ إِلَى بُخَارَى لَا تَعْجَلْ فِي

الْإِخْتِلَافِ <sup>(٢)</sup> إِلَى الْأَثَمَةِ وَأَمْكُثْ شَهْرَيْنِ حَتَّى تَتَأَمَّلَ وَتَخْتَارَ أَسْتَاذًا ،

- (١) ما بين الشرطين ليس من كلام الحكم بل من كلام المؤلف ساقه هنا لبيان أهمية المشورة
- (٢) الاختلاف إلى الأثمة هو التردد على مجالسهم لاختذ العلم عنهم .

فَإِنَّكَ إِذَا ذَهَبْتَ إِلَى عَالِمٍ وَبَدَأْتَ بِالسَّبْقِ (١) عِنْدَهُ رُبَّمَا لَا يُعْجِبُكَ دَرَسُهُ  
فَتَتْرُكُهُ وَتَذْهَبُ إِلَى آخَرَ فَلَا يُبَارِكُ لَكَ فِي التَّعَلُّمِ ، فَتَأْمَلُ شَهْرَيْنِ فِي اخْتِيَارِ  
الْأُسْتَاذِ وَشَاوِرَ حَتَّى لَا تَحْتَاجَ إِلَى تَرْكِهِ وَالْإِعْرَاضِ عَنْهُ فَتَثْبُتَ عِنْدَهُ حَتَّى  
يَكُونَ تَعَلُّكَ مُبَارَكًا وَتَنْتَفِعَ بِعِلْمِكَ كَثِيرًا . وَاعْلَمْ أَنَّ الصَّبْرَ وَالثَّبَاتَ  
أَصْلُ كَبِيرٌ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ وَلَكِنَّهُ عَزِيزٌ كَمَا قِيلَ :

لِكُلِّ إِلَى شَأْنٍ أَعْلَى حَرَكَاتٌ وَلَكِنْ عَزِيزٌ فِي الرِّجَالِ ثَبَاتٌ

قِيلَ : الشَّجَاعَةُ ، صَبْرٌ سَاعَةٌ ، فَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَثْبُتَ وَيَصْبِرَ عَلَى  
أُسْتَاذٍ وَعَلَى كِتَابٍ حَتَّى لَا يَتْرُكُهُ أَبْتَرُ (٢) وَعَلَى فَنٍ حَتَّى لَا يَشْتَغَلَ بِفَنٍ آخَرَ  
قَبْلَ أَنْ يَتِمَّ الْأَوَّلَ ، وَعَلَى بَلَدٍ حَتَّى لَا يَنْتَقِلَ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ  
فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ يَفْرُقُ الْأُمُورَ وَيَشْغُلُ الْقَلْبَ ، وَيُضَيِّعُ الْأَوْقَاتَ ، وَيُؤْذِي  
الْمُعَلِّمَ . وَيَنْبَغِي أَنْ يَصْبِرَ عَمَّا تَرِيدُهُ نَفْسُهُ وَهَوَاهُ قَالَ الشَّاعِرُ :

(١) بدأت بالسبق عنده : أى بدأت بأخذ العلم عنه قبل التأمل وحسن الاختيار .  
(٢) أبتر : ناقص .

إِنَّ الْهَوَى لَهْوُ الْهَوَانِ بَعِينُهُ وَصَرِيحٌ كُلُّ هَوَى صَرِيحٌ هَوَانٌ  
وَيَصْبِرُ عَلَى الْحَنِّ وَالْبَلِيَّاتِ قَدْ قِيلَ : خَزَانَةُ الْمِنَنِ عَلَى قَنَاطِرِ الْحَنِّ .  
وَأَنْشَدْتُ ، وَقِيلَ إِنَّهُ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ :

أَلَا لَا تَسْأَلِ الْعِلْمَ إِلَّا بِلَيْتِهِ سَأَتِيكَ عَنْ تَجْمُوعِهَا بَيَانٌ  
ذَكَاهُ وَحَرَضَ ، وَأَصْطَبَارٌ ، وَبُلْغَةٌ (١) وَإِرْشَادُ أُسْتَاذٍ ، وَطُولُ زَمَانٍ

وَأَمَّا اخْتِيَارُ الشَّرِيكِ فَيَنْبَغِي أَنْ يَخْتَارَ الْمَجْدَ وَالْوَرَعَ وَصَاحِبَ الطَّبِيعِ  
الْمُسْتَقِيمِ ، وَيَفِرَّ مِنَ الْكَسَلَانِ وَالْمُعْطَلِّ وَالْمِكْنَارِ وَالْمُفْسِدِ وَالْفَتَانِ (٢)  
قَالَ الشَّاعِرُ :

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلِ وَأَبْصِرْ قَرِينَهُ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي (٣)

(١) البلغة : ما يبلغ به من العيش

(٢) المكنار : كثير الكلام ، والفتان : هو من يثير الفتن والمنازعات  
بين الناس

(٣) الذى أعرفه من رواية هذا الشعر هو قوله :

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ولا تصحب الآردى فتردى مع الردى

فَإِنْ كَانَ ذَا شَرٍّ فَجَانِبُهُ سُرْعَةً وَإِنْ كَانَ ذَا خَيْرٍ فَقَارِنُهُ تَهْتَدِي  
وَأَنْشَدْتُ :

لَا تَصْحَبِ الْكِسْلَانَ فِي حَالَانِهِ كَمْ صَالِحٍ بَفْسَادٍ آخَرَ يَفْسُدُ  
عَدَوَى الْبَلِيدِ إِلَى الْجَلِيدِ سَرِيعَةً كَالْجَمْرِ يَوْضَعُ فِي الرَّمَادِ فَيُخْمدُ  
وقال صلى الله عليه وسلم : « كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَدُ عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ إِلَّا أَنْ  
أَبَوْهُ يَهُودِيًّا أَوْ يُنَصْرَانِيًّا أَوْ يُمَجَّسَانِيًّا ، الْحَدِيثُ . وَيُقَالُ فِي الْحِكْمَةِ بِالْفَارِسِيَّةِ  
يَارِبْدُ بَدْرٌ بُوْدَاز مَارِبْدُ حَقِّ ذَاتِ بَالِكِ اللَّهُ الصَّمدُ  
يَارِبْدُ آرد تَرَا سُوئي جَجِيم يَارِنِيكو گِير تَا يَابِي نَعِيم <sup>(١)</sup>  
وقيل :

إِنْ كُنْتَ تَبْنِي الْعِلْمَ مِنْ أَهْلِهِ أَوْ شَاهِدًا يُخْبِرُ عَنْ غَائِبِ

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى  
ومن هذا المعنى ما رواه ابن ماجه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم  
قال : « اخْبَرُوا النَّاسَ بِأَخْوَانِهِمْ فَإِنَّ الرَّجُلَ يَخْدُنُ مَنْ يَعْجِبُهُ نَحْوُهُ ، أَيْ مِنْهُجُهُ  
وطريقته (١) جاء في شرح الشيخ إبراهيم بن إسماعيل لهذا الكتاب بياناً  
لمعنى هذا الشعر الفارسي : يعني أن صاحب السوء أسوأ من الحبة السوداء  
وأكثر منها ضرراً .

فَاعْتَبِرِ الْأَرْضَ بِأَسْمَائِهَا وَاعْتَبِرِ الصَّاحِبَ بِالصَّاحِبِ <sup>(١)</sup>

(فصل في تعظيم العلم وأهله)

اعْلَمْ أَنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ لَا يَنَالُ الْعِلْمَ وَلَا يَنْتَفِعُ بِهِ إِلَّا بِتَعْظِيمِ الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ ،  
وَتَعْظِيمِ الْأَسْتَاذِ وَتَوْفِيرِهِ ، فَقَدْ قِيلَ : مَا وَصَلَ مَنْ وَصَلَ إِلَّا بِالْحُرْمَةِ <sup>(٢)</sup>  
وَمَا سَقَطَ مَنْ سَقَطَ إِلَّا بِتَرْكِ الْحُرْمَةِ . وَقِيلَ : الْحُرْمَةُ خَيْرٌ مِنَ الطَّاعَةِ .  
أَلَا تَرَى أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَكْفُرُ بِالْمَعْصِيَةِ وَإِنَّمَا يَكْفُرُ بِاسْتِخْفَافِهَا وَبِتَرْكِ  
الْحُرْمَةِ ، وَمَنْ تَعْظِيمِ الْعِلْمِ تَعْظِيمِ الْمُعَلِّمِ . قَالَ عَلَى كَرَمِ اللَّهِ وَجْهَهُ : أَنَا عَبْدُ  
مَنْ عَلَنِي حَرْقًا وَاحِدًا ، إِنْ شَاءَ بَاعَ ، وَإِنْ شَاءَ أَعْتَقَ ، وَإِنْ شَاءَ اسْتَرْقَى .  
وَقَدْ أَنْشَدْتُ فِي ذَلِكَ شَعْرًا :

(١) فاعْتَبِرِ الْأَرْضَ بِأَسْمَائِهَا : يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ إِنَّ الْمُرَادَ بِأَسْمَائِهَا الْأَسْمَاءُ الَّتِي  
تُطْلَقُ عَلَيْهَا : فَكَلِمَةُ ضَيْعَةٍ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا أَرْضٌ ذَاتُ زَرْعٍ وَضَرْعٍ ، وَكَلِمَةُ حَدِيقَةٍ  
تَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا ذَاتُ أَشْجَارٍ وَثَمَارٍ . . . وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ إِنَّ الْمُرَادَ بِأَسْمَائِهَا أَسْمَاءُ  
مَا كُنِيَهَا : فَإِذَا شَاعَتْ بَيْنَهُمْ أَسْمَاءُ صَخْرٍ وَحَجَرٍ وَالْفَارِظُ وَدَارِمٌ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى  
أَنَّهَا أَرْضٌ جَبَلِيَّةٌ يَكْثُرُ فِيهَا شَجَرُ الْفَرْظِ وَالْدَارِمِ ، وَإِذَا شَاعَ فِيهَا أَسْمَاءُ أَسَدٍ  
وَنَعْلَبٍ وَكَلْبٍ أَوْ كَلَابٍ مِثْلًا دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْحَيَوَانَاتُ تَكْثُرُ فِيهَا .  
(٢) الْحُرْمَةُ : الْمَهَابَةُ وَالتَّعْظِيمُ .



رَأَيْتَ أَحَقَّ الْحَقِّ حَقَّ الْمُعَلِّمِ وَأَوْجَبَهُ حِفْظًا عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ  
لَقَدْ حَقَّ أَنْ يَهْدَى إِلَيْهِ كَرَامَةً لِتَعْلِيمِ حَرْفٍ وَاحِدٍ أَلْفٍ دِرْهَمٍ

فَإِنَّ مَنْ عَلَّمَكَ حَرْفًا مِمَّا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الدِّينِ فَهُوَ أَبُوكَ فِي الدِّينِ . وَكَانَ  
أُسْتَاذُنَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ سَدِيدُ الدِّينِ الشَّيرَازِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : قَالَ  
مُشَايِخُنَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ ابْنَهُ عَالِمًا فَيَنْبَغِي أَنْ يَرَاعِيَ  
الْغُرَبَاءَ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَيُكْرِمَهُمْ وَيُطْعِمَهُمْ وَيُعْظِمَهُمْ وَيُعْطِيَهُمْ شَيْئًا ، فَإِنْ  
لَمْ يَكُنْ ابْنُهُ عَالِمًا كَانَ حَفِيدَهُ عَالِمًا . وَمَنْ تَوَقَّيرَ الْمُعَلِّمَ الْأَيْمَنِيَّ أَمَامَهُ ،  
وَلَا يَجْلِسَ مَكَانَهُ ، وَلَا يَبْتَدِئَ بِالْكَلَامِ عِنْدَهُ إِلَّا يَأْذَنَهُ ، وَلَا يُكْثِرُ الْكَلَامَ  
عِنْدَهُ إِلَّا يَأْذَنَهُ ، وَلَا يَسْأَلُ شَيْئًا عِنْدَ مَلَأَتِهِ <sup>(١)</sup> ، وَبِرَاعَى الْوَقْتَ وَلَا يَدُقُّ  
الْبَابَ بَلْ يَصْبِرُ حَتَّى يُخْرَجَ

وَفِي الْجُمْلَةِ يُطْلَبُ رِضَاهُ ، وَيَحْتَنَبُ سُخْطُهُ ، وَيُمْتَلِ أَمْرُهُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ  
اللَّهِ تَعَالَى ، فَإِنَّهُ لَا طَاعَةَ لِلْمَخْلُوقِ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ

(١) المَلَلَةُ : الضَّجَرُ وَالسَّامُ . وَبِرَاعَى الْوَقْتِ : أَيْ لَا يَفْعَلُ شَيْئًا إِلَّا فِي الْوَقْتِ  
الْمُنَاسِبِ لَهُ .

وَالسَّلَامُ : «إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ يَذْهَبُ دِينَهُ لِدُنْيَا غَيْرِهِ»

وَمَنْ تَوَقَّيرَهُ تَوَقَّيرُ أَوْلَادِهِ وَمَنْ يَتَعَلَّقُ بِهِ ، وَكَانَ أَسْتَاذُنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ  
بُرْهَانُ الدِّينِ صَاحِبُ الْهُدَايَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ يَحْكِي أَنَّ وَاحِدًا مِنْ كِبَارِ  
أَتَمَّةِ بُخَارَى كَانَ يَجْلِسُ مَجْلِسَ الدَّرْسِ وَكَانَ يَقُومُ فِي خِلَالِ الدَّرْسِ أَحْيَانًا  
فَسَأَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : إِنَّ ابْنَ أَسْتَاذِي يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ فِي السُّكَّةِ وَيَبْجِيُهُ  
أَحْيَانًا إِلَى بَابِ الْمَسْجِدِ فَإِذَا رَأَيْتَهُ أَقُومُ لَهُ تَعْظِيمًا لِأَسْتَاذِي ، وَكَانَ الْقَاضِي  
الْإِمَامُ نَعْرُ الدِّينِ الْأَرَسَابَنْدِيُّ رَئِيسُ الْأَتَمَّةِ فِي مَرُوءِ ، وَكَانَ السُّلْطَانُ  
يَحْتَرِّمُهُ غَايَةَ الْإِحْتِرَامِ ، وَيَقُولُ : إِنَّمَا وَجِدْتُ فِي هَذَا الْمَنْصَبِ بِخِدْمَةِ الْأَسْتَاذِ  
فَإِنِّي كُنْتُ أَخْدُمُ الْأَسْتَاذَ الْقَاضِيَّ الْإِمَامَ أَبَا يَزِيدَ الدُّبُوسِيَّ ، وَكُنْتُ أَخْدُمُهُ  
وَأُطْبِخُ طَعَامَهُ ثَلَاثِينَ سَنَةً وَلَا آكُلُ مِنْهُ شَيْئًا . وَكَانَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْأَجَلُّ  
شَمْسُ الْأَتَمَّةِ الْخَلَوَاتِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ خَرَجَ مِنْ بُخَارَى وَسَكَنَ فِي بَعْضِ الْقُرَى  
أَيَّامًا لِحَادَثَةِ وَقَعَتْ لَهُ ، وَقَدْ زَارَهُ تَلَامِيذُهُ غَيْرُ الشَّيْخِ الْإِمَامِ الْقَاضِي شَمْسِ  
الْأَتَمَّةِ الرَّزْمُجِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، فَقَالَ لَهُ حِينَ لَقِيَهُ : لِمَ لَمْ تَزُرْنِي ؟ فَقَالَ لَهُ :

كُنْتُ مَشْغُولًا بِخِدْمَةِ الْوَالِدَةِ ، فَقَالَ تَرَزَّقُ الْعُمَرُ ، وَلَا تَرَزَّقُ رَوْتَقَ الدَّرْسِ ،  
وَكَانَ كَذَلِكَ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَسْكُنُ فِي أَكْثَرِ أَوْقَاتِهِ الْقُرَى وَلَمْ يَنْتَظِمْ لَهُ الدَّرْسُ .  
فَمَنْ تَأَذَّى مِنْهُ أَسَازُهُ يُحْرِمُ بَرَكَةَ الْعِلْمِ وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ إِلَّا قَلِيلًا

إِنَّ الْمُعَلِّمَ وَالطَّيِّبَ كِلَاهُمَا لَا يَنْصَحَانِ إِذَا هُمَا لَمْ يَكْرَمَا  
فَاصْبِرْ لِدَانِكَ إِنْ جَفَوْتَ طَبِيبُهُ وَأَقْنَعْ بِجَهْلِكَ إِنْ جَفَوْتَ مُعَلِّمًا  
وَحَكِي أَنَّ الْخَلِيفَةَ هَارُونَ الرَّشِيدَ بَعَثَ ابْنَهُ إِلَى الْأَصْمَعِيِّ لِيُعَلِّمَهُ  
الْعِلْمَ وَالْأَدَبَ ، فَرَأَاهُ يَوْمًا يَتَوَضَّأُ وَيَغْسِلُ رِجْلَهُ وَابْنُ الْخَلِيفَةِ يَصُبُّ الْمَاءَ  
عَلَى رِجْلِهِ ، فَغَابَ الْأَصْمَعِيُّ فِي ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : إِيْمَا بَعَثْتَهُ إِلَيْكَ لِيُعَلِّمَهُ وَتُؤَدِّبَهُ  
فَلِذَا لَمْ تَأْمُرْهُ بِأَنْ يَصُبَّ الْمَاءَ يَأْخُذُ بِيَدَيْهِ وَيَغْسِلُ بِالْآخَرَى رِجْلَكَ ؟  
وَمِنْ تَعْظِيمِ الْمُعَلِّمِ تَعْظِيمُ الْكِتَابِ ، فَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ إِلَّا يَأْخُذَ  
الْكِتَابَ إِلَّا بِالطَّهَارَةِ

وَحَكِي عَنِ الشَّيْخِ شَمْسِ الْأَيْمَةِ الْحُلَوَانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَالَ : إِيْمَا

نَلَتْ هَذَا الْعِلْمَ بِالتَّعْظِيمِ ، فَإِنِّي مَا أَخَذْتُ الْكَاعْدَ (١) إِلَّا بِالطَّهَارَةِ . وَالشَّيْخُ  
الْإِمَامُ شَمْسُ الْأَيْمَةِ السَّرْحِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى كَانَ مَبْطُونًا (٢) وَكَانَ  
يُكْرَرُ (٣) فِي لَيْلَةٍ قَوْضًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ سَبْعَ عَشْرَةَ مَرَّةً ، لِأَنَّهُ كَانَ لَا يُكْرَرُ  
إِلَّا بِالطَّهَارَةِ وَهَذَا لِأَنَّ الْعِلْمَ نُورٌ ، وَالْوُضُوءَ نُورٌ ، فَيَزْدَادُ نُورُ الْعِلْمِ بِهِ .  
وَمِنْ التَّعْظِيمِ الْوَاجِبِ الْأَيْدُ رِجْلَهُ إِلَى الْكِتَابِ ، وَيَضَعُ كُتُبَ التَّفْسِيرِ  
فَوْقَ سَائِرِ الْكُتُبِ تَعْظِيمًا ، وَلَا يَضَعُ عَلَى الْكِتَابِ شَيْئًا آخَرَ ، وَكَانَ  
أُسْتَاذَنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ بَرْهَانَ الدِّينِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَحْكِي عَنْ شَيْخٍ مِنْ  
الْمَشَافِيحِ أَنَّ قَبْلَهَا كَانَ وَضَعَ الْمُجَبَّرَةَ عَلَى الْكِتَابِ فَقَالَ لَهُ بِالْفَارِسِيَّةِ :  
« بَرْنِيَانِي (٤) » وَكَانَ أُسْتَاذَنَا الْقَاضِي الْإِمَامُ الْأَجَلُ نَحْرُ الْإِسْلَامِ الْمَعْرُوفُ  
بِقَاضِيخَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : إِنْ لَمْ يَرُدِّ بِذَلِكَ الْأَسْتِخْفَافُ فَلَا بَأْسَ

(١) الكاعد بفتح النون : القرماس

(٢) المبطون هو من يشكى بطنه (٣) يريد هذا كره العلم

(٤) في شرح الشيخ إبراهيم بن إسماعيل أن معنى هذه الكلمة : لا نجد النفع

من علمك .

به، والأولى أن يتحرز عنه، ومن التعظيم الواجب أن يجود كتابة الكتاب، ولا يقرمط<sup>(١)</sup>، ويترك الحاشية إلا عند الضرورة. ورأى أبو حنيفة رحمه الله تعالى كاتباً يقرمط في الكتابة. فقال: لم تقرمط خطك إن عشت تدم، وإن مت تشتم. يعني إذا شئت وضعف بصرك ندمت على ذلك.

وحكى عن الشيخ الإمام مجد الدين الصرحي<sup>(٢)</sup> أنه قال: ما قرمطنا إلا ندماً، وما انتخبنا إلا ندماً، وما لم نقابل إلا ندماً<sup>(٣)</sup>، وينبغي أن يكون تقطيع الكتاب مربعا فإنه تقطع أبي حنيفة رحمه الله وهو أيسر إلى الرفع والوضع والمطالعة، وينبغي ألا يكون في الكتاب شيء من الخثرة فإنها

(١) يقرمط: يدق الكتابة ويصغرها

(٢) في نسخة أخرى: الشيخ الإمام محمد مجد الدين الصرحي

(٣) ما انتخبنا: لخصنا، أي متركنا شيئا إلا احتجنا إلى متركناه ووددنا لو كان مامنا مفصلا متوسعا فيه. وما لم نقابل: أي ما قرطنا في المراجعة ومقابلة النسخة المكتوبة حديثا على الأخرى المصححة إلا ندما لعمورنا على أخطاء وأغلاط في النسخة الحديثة.

صنيع الفلاسفة لا صنيع السلف: ومن مشايخنا من كره استعمال المركب<sup>(١)</sup> الآخر. ومن تعظيم العلم تعظيم الشكر في طلب العلم والدرس ومن يتعلم منه. والتملق<sup>(٢)</sup> مذموم إلا في طلب العلم، فإنه ينبغي أن يتملق لأستاذه وشركائه ليستفيد منهم، وينبغي لطالب العلم أن يستمع العلم والحكمة بالتعظيم والحرمة، وإن سمع المسئلة الواحدة أو الكلمة الواحدة ألف مرة قيل من لم يكن تعظيما بعد ألف مرة كتعظيمه في أول مرة، فليس بأهل للعلم وينبغي لطالب العلم الاختيار نوع علم بنفسه بل يفوض أمره إلى الأستاذ فإن الأستاذ قد حصل له التجارب في ذلك فكان أعرف بما ينبغي لكل أحد وما يليق بطبيعته. وكان الشيخ الإمام الأجل الأستاذ برهان الدين يقول

كان طلبية العلم في الزمان الأول يفوضون أمورهم في التعلم إلى أستاذهم، فكانوا يصلون إلى مقاصدهم ومرايدهم؛ والآن يختارون بأنفسهم فلا يحصل

(١) المركب: المداد

(٢) التملق: التودد والتلطف. والتملق المذموم هو المتكلف المصطنع استجلابا لفائدة مادية لأنه حينئذ يدل على الضعف والمهانة والصغار.



مَقْصُودُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَالْفَهْمِ ، وَكَانَ يُحْكِي أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيَّ رَحِمَهُ  
 اللَّهُ تَعَالَى كَانَ بَدَأَ بِكِتَابِ الصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ ، فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ رَحِمَهُ  
 اللَّهُ تَعَالَى : أَذْهَبَ وَتَعَلَّمَ عِلْمَ الْحَدِيثِ . لَمَّا رَأَى أَنَّ ذَلِكَ الْعِلْمَ الْبَقِيَّ بَطْنُهُ  
 فَطَلَبَ عِلْمَ الْحَدِيثِ فَصَارَ فِيهِ مُقْتَمَاعًا عَلَى جَمِيعِ أُمَّةِ الْحَدِيثِ . وَبَقِيَ لَطَالِبُ  
 الْعِلْمِ الْأَيْ جُلَسَاءُ قَرِيبًا مِنَ الْأَسَازِ عِنْدَ السَّبْقِ (١) بِغَيْرِ ضَرُورَةٍ ، بَلْ يَنْبَغِي  
 أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَسَازِ قَدْرُ الْقَوْسِ ، فَإِنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى التَّعْظِيمِ . وَيَنْبَغِي  
 لَطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَحْتَرِزَ عَنِ الْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ ، فَإِنَّهَا كَلَابٌ مَعْنَوِيَّةٌ ، وَقَدْ  
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ أَوْ  
 صُورَةٌ . وَإِنَّمَا يَتَعَلَّمُ الْإِنْسَانُ بِوَسْطَةِ الْمَلِكِ ، وَالْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ تُعْرِفُ  
 فِي كِتَابِ الْأَخْلَاقِ ، وَكَتَابُنَا هَذَا لَا يَحْتَمِلُ بَيَانَهَا . وَلِيَحْتَرِزَ خُصُوصًا عَنِ  
 التَّكْبِيرِ قَعَ التَّكْبِيرِ لَا يَحْصُلُ الْعِلْمُ . قِيلَ :

(١) السَّبْقُ : اسْتِمَاعُ الدَّرْسِ ، وَكَأَنَّهُ أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِهِ قَطْلًا فِي سُورَةِ النَّازِعَاتِ  
 «فَالسَّابِقَاتُ سَبْقًا» عَلَى رَأْيٍ مِنْ فَرَسِهِ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ وَالْجِنَّ كَانُوا يَنْسَاجُونَ إِلَى  
 اسْتِمَاعِ الرُّوحِ .

الْعِلْمُ حَرْبٌ لِلْفَتَى الْمُتَعَالَى كَالسَّيْلِ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِي  
 وَقِيلَ :

بِجِدِّي لَا يَجِدُ كُلُّ جِدٍّ فَهَلْ جِدَّ بِلَا جِدٍّ بِجِدِّي (١)  
 فَكَمْ عَبْدٌ يَقُومُ مَقَامَ حُرٍّ وَكَمْ حُرٌّ يَقُومُ مَقَامَ عَبْدٍ (٢)

### (فصل في الجِدِّ والمواظبة والهمة)

ثُمَّ لَا بُدَّ مِنَ الْجِدِّ وَالْمُؤَاطَبَةِ وَالْمُلَازِمَةِ لَطَالِبِ الْعِلْمِ ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ فِي  
 الْقُرْآنِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا» وَقَوْلُهُ تَعَالَى  
 «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا كِتَابَ بَقْوَةٍ» وَقَدْ قِيلَ : مَنْ طَلَبَ شَيْئًا وَجَدَ وَجَدَ ، وَمَنْ

(١) بِيَدِي بِكُفْرٍ الْجِيمِ : أَيُّ بَلَّغْتَ الْعَمَلُ بِاجْتِهَادِي وَنَشَاطِي فَأَنَا عَصَامِي . لَا يَجِدُ  
 كُلُّ جِدٍّ : أَيُّ لَمْ أَصِلْ إِلَى غَرَضِي بِسَعْيٍ غَيْرِي وَاجْتِهَادٍ سِوَايَ فَلَسْتُ عَظَامِيًا فَهَلْ  
 جِدَّ بِفَتْحِ الْجِيمِ : حَظٌّ وَبَحْثٌ ، أَيُّ أَنَّ الْحَظَّ وَالْبَحْثَ لَا يَفِيدُ شَيْئًا إِذَا لَمْ يَكُنْ  
 هُنَاكَ جِدٌّ وَاجْتِهَادٌ ، وَفَرَضُ السَّعَادَةِ وَالْمُجْدُ تَسْنَحُ لِكُلِّ النَّاسِ أَوْ لَا كَثَرَتْ وَلَكِنْ  
 قَلَّ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَهِزُهَا ، فَهِيَ كَالطَّائِرِ يَخْلُقُ فَوْقَ الرُّؤْسِ فَلْيَقِظْ النُّشَيْطُ يَنْبُثُ إِلَيْهِ  
 وَيَمْسُ ، وَالْكُسُولُ الْبَلِيدُ يَقِفُ أَمَامَهُ جَاهِدًا

(٢) بَنَى أَنْ الْجِدَّ وَالْعَمَلَ يَرْفَعُ الْعَبِيدَ الْأَذْلَاءَ إِلَى مَقَامِ السَّادَةِ الْأَجَادِ وَالْكَمَلِ  
 وَالْمَحْمُولِ يَحِطُّ السَّادَةُ الْأَشْرَافُ إِلَى حَضْبِضِ الْعَبِيدِ الْأَذْلَاءِ .

قَرَعَ الْبَابَ وَجَّ وَجَّ (١). وَقِيلَ: بِقَدْرِ مَا تَمَنَّى تَنَالُ مَا تَمَنَّى قِيلَ: بِحَتَّاجٍ  
فِي التَّعَلُّمِ وَالتَّفَقُّهِ إِلَى الْجِدِّ ثَلَاثَةٌ: الْمُتَعَلِّمُ وَالْأَسْتَاذُ وَالْأَبُ إِنْ كَانَ فِي  
الْأَحْيَاءِ أَتَشَدُّنِي الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْأَسَاذُ سَدِيدُ الدِّينِ الشِّيرَازِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ  
لِلْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ:

الْجِدُّ يَدْنِي كُلُّ أَمْرِ شَاسِعٍ وَالْجِدُّ يَفْتَحُ كُلَّ بَابٍ مُغْلَقٍ  
وَأَحَقُّ خَلْقِ اللَّهِ بِالْمِ أَمْرُؤُ ذُو هِمَّةٍ يُبْلَى بِعَيْشٍ ضَيِّقٍ  
وَمِنْ الدَّلِيلِ عَلَى الْقَضَاءِ وَحُكْمِهِ بُوْسُ اللَّيْبِ وَطَيْبُ عَيْشِ الْأَحَقِّ (٢)  
لَكِنْ مِنْ رُزْقِ الْحِجْبِ حَرَمِ النَّتِيِّ ضِدَانٍ يَقْتَرِقَانِ أَيْ تَفَرِّقُ

(١) لَج: أَلَحَّ وَشَدَّدَ. وَجَّ: دَخَلَ

(٢) حيث كان يجب أن يكون البيت هو الفنى الطبيب العيش لتفوقه بعقله  
وذكائه فلما رأينا الأحق النبي هو الأكثر غنى والأطيب عيشاً عرفنا أو هناك  
قوة أخرى هي التي قلبت الأمر وعكست ما يقتضيه العقل والمنطق وتلك القوة  
هي التي يسميها الشاعر حكم القضاء أي فضله الله وحكمه. ولكن ما أحسن قول المتنبي:  
ذو العقل يشقى في النعم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

وَأَشَدَّتْ لَغَيْرِهِ:

تَمَنَيْتَ أَنْ تُنْمِيَ فِقْهًا مُنَاطِرًا بِغَيْرِ غِنَاءٍ وَالْجُنُونُ قُنُونُ  
وَلَيْسَ اكْتِسَابُ الْمَالِ دُونَ مَشَقَّةٍ تَحْمِلُهَا، فَالْعِلْمُ كَيْفَ يَكُونُ؟ (١)  
قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ:

وَلَمْ أَرِ فِي عُيُوبِ النَّاسِ عَيْبًا كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ (٢)

وَلَا بُدَّ لِلطَّالِبِ مِنْ سَهْرِ اللَّيَالِي كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

بِقَدْرِ الْكَدِّ تُكْتَسَبُ الْمَعَالِي وَمَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ سَهَرَ اللَّيَالِي  
تَرَوْمُ الْعِزَّ ثُمَّ تَنَامُ لَيْلًا بَعُوضُ الْبَحْرِ مَنْ طَلَبَ اللَّالِي  
عُلُوَّ الْكُتُبِ (٣) بِأَهْمِ الْعَوَالِي وَعِزُّ الْمَرْءِ فِي سَهْرِ اللَّيَالِي

(١) أي يكون اكتساب العلم بدون مشقة مع أنه أعظم شأنًا وأصعب  
منه من المال

(٢) أي أن أعظم عيوب القادرين هو نقصهم عن بلوغ الغاية فيما يقدر  
عليه بسبب الإهمال والتفريط والكسل

(٣) يعني ارتفاع الشأن.

وَمَنْ رَامَ الْعِلْمَ مِنْ غَيْرِ كَدِّ أَضَاعَ الْعُمْرَ فِي طَلَبِ الْخَالِ  
تَرَكَ النَّوْمَ رَبِّي فِي اللَّيَالِي لِأَجْلِ رِضَاكَ يَا مَوْلَى الْمَوَالِي  
فَوَقَّعَنِي إِلَى تَحْصِيلِ عِلْمٍ وَبَلَّغَنِي إِلَى أَقْصَى الْمَعَالِي  
وَقِيلَ : اتَّخَذَ اللَّيْلَ جُمْلًا تُدْرِكُ بِهِ أَمَلًا . قَالَ الْمُصَنِّفُ (١) رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى  
وَقَدْ أَتَّفَقَ لِي نَظْمٌ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

مَنْ شَاءَ أَنْ يَحْتَوِيَ آمَالَهُ جُمْلًا فَلْيَتَّخِذْ لَيْلَهُ فِي دَرَكِهَا جَمْلًا  
أَقَلُّ طَعَامِكَ كَيْ تَحْتَظِيَ بِهِ نَعْمًا إِنْ شِئْتَ يَا صَاحِبِي أَنْ تَبْلُغَ الْكَمْلًا (٢)  
وَقِيلَ : مَنْ أَسْهَرَ نَفْسَهُ بِاللَّيْلِ ، فَقَدْ فَرَحَ قَلْبُهُ بِالنَّهَارِ ، وَلَا بُدَّ لَطَالِبِ  
الْعِلْمِ مِنَ الْمَوَاطَنَةِ عَلَى الدَّرْسِ وَالتَّكْرَارِ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ وَآخِرِهِ ، فَإِنْ مَا يَنْ  
الْعِشَاءِ وَوَقْتُ السَّحَرِ وَقْتُ مُبَارَكٍ . قِيلَ فِي الْمَعْنَى شِعْرٌ :

يَا طَالِبَ الْعِلْمِ بِأَشْرِ الْوَرَعَا وَجَنِّ النَّوْمَ وَاتْرِكَ الشُّبْعَا

(١) يريد نفسه

(٢) الكمل بفتح الكاف والميم : الكامل ، ويريد به الكمال .

دَاوِمٌ عَلَى الدَّرْسِ لَا تُفَارِقُهُ فَالْعِلْمُ بِالدَّرْسِ قَامَ وَارْتَفَعَا  
فَيَنْتَمِ أَيَّامَ الْحَدَاثَةِ وَعُفُوفَانِ (١) الشَّبَابِ كَمَا قِيلَ :

بَقْدَرِ الْكَدِّ تُعْطَى مَأْرُومٌ فَمَنْ رَامَ الْمُنَى لَيْلًا يَقُومُ  
وَأَيَّامَ الْحَدَاثَةِ فَاعْتَمِهَا أَلَا إِنْ الْحَدَاثَةَ لَا تَدُومُ

وَلَا يُجَاهِدُ نَفْسَهُ جُهْدًا ، وَلَا يُضْعِفُ النَّفْسَ حَتَّى يَنْقَطِعَ عَنِ الْعَمَلِ بَلْ  
يَسْتَعْمِلُ الرَّقْءَ فِي ذَلِكَ ، وَالرَّقْءُ أَصْلٌ عَظِيمٌ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ . قَالَ عَلَيْهِ  
السَّلَامُ : « أَلَا إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ ، فَأَوْغِلُوا (٢) فِيهِ بِرَفْقٍ ،  
وَلَا تُبْغِضْ (٣) عَلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ اللَّهِ تَعَالَى ، فَإِنَّ الْمُنْبِتَ (٤) لَا أَرْضًا قَطَعَ  
وَلَا ظَهْرًا أَثْبَتَ . وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « نَفْسُكَ مَطْبُوعٌ فَارْفُقْ بِهَا . وَلَا بُدَّ  
لَطَالِبِ الْعِلْمِ مِنَ الْمَهْمَةِ الْعَالِيَةِ فِي الْعِلْمِ ، فَإِنَّ الْمَرْءَ يَطِيرُ بِهَيْمَتِهِ كَالطَّيْرِ ،  
يَطِيرُ بِحَاجَتِهِ .

(١) عفوان الشباب : قوته وحده (٢) أوغلوا : اذهبوا فيه وتعمقوا

(٣) تبغض على نفسك : تثقل وتعب

(٤) المنبت : المنقطع عن السفر لإجهاده مطبوعه حتى تنفقت .



قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ :

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزَمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ      وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكَرَامِ الْمَكَارِمُ  
وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صَغَارُهَا      وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ <sup>(١)</sup>  
وَالرَّأْسُ <sup>(٢)</sup> فِي تَحْصِيلِ الْأَشْيَاءِ الْجَدُّ وَالْهِمَّةُ الْعَالِيَةُ ، فَمَنْ كَانَتْ هِمَّتُهُ حِفْظَ  
جَمِيعِ كُتُبِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَاقْتَرَنَ بِذَلِكَ الْجَدُّ وَالْمُواظَبَةُ ،  
فَالظَّاهِرُ أَنَّهُ يَحْفَظُ أَكْثَرَهَا أَوْ نِصْفَهَا . فَأَمَّا إِذَا كَانَتْ لَهُ هِمَّةٌ عَالِيَةٌ ، وَلَمْ  
يَكُنْ لَهُ جَدٌّ ، أَوْ كَانَ لَهُ جَدٌّ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ هِمَّةٌ عَالِيَةٌ ، فَلَا يَحْصُلُ لَهُ عِلْمٌ إِلَّا  
الْقَلِيلُ . وَذَكَرَ الشَّيْخُ الْأَجَلُ الْإِمَامُ الْأَسْتَاذُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ النَّبَسَابُورِيُّ رَحِمَهُ  
اللَّهُ فِي كِتَابِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَسَافِرَ لِيَسْتَوْلِيَ

(١) العزائم: جمع عزيم وهي الإرادة والتصميم . والمعنى أن العزائم والمكارم  
تكون بحسب أقدار فاعليها ؛ فإذا كانت أقدار فاعليها عظيمة كانت هي عظيمة  
أيضاً وإذا كانت أقدارهم صغيرة كانت عزائمهم ومكارمهم صغيرة أيضاً لأن  
ضعيف الهمة صغير النفس يرى الأمور الصغيرة كبيرة عظيمة . أما على الهمة ،  
كبير النفس ، فإنه يرى الأمور صغيرة وضعافها سهلة هينة  
(٢) الرأس في تحصيل الأشياء: يعني الأصل والأساس .

عَلَى الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ شَاوَرَ الْحُكَمَاءَ فِي ذَلِكَ ، وَقَالَ : كَيْفَ سَافِرُ الْمُنَادَا  
الْقَدْرِ مِنَ الْمَلِكِ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَلِيلَةٌ قَانِيَةٌ وَمُلْكُ الدُّنْيَا أَمْرٌ حَقِيرٌ ، فَلَيْسَ هَذَا  
مِنْ عُلُوِّ الْهِمَّةِ . فَقَالَ الْحُكَمَاءُ : سَافِرٌ لِيَحْصُلَ لَكَ مُلْكُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .  
قَالَ : هَذَا أَحْسَنُ . وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنْ اللَّهُ تَعَالَى  
يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وَيَكْرَهُ سُفْسَافَهَا <sup>(١)</sup> . وَقِيلَ :

فَلَا تَعْجَلْ بِأَمْرِكَ وَأَسْتَدِمُهُ      فَمَا صَلَّيْ عَصَاكَ كَتَبْتَدِيمِ <sup>(٢)</sup>  
قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ لِأَبِي يُوسُفَ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى : كُنْتُ بَلِيدًا فَأَخْرَجَنِيكَ  
الْمُواظَبَةُ ، وَإِيَّاكَ وَالْكَسَلَ فَإِنَّهُ شَوْمٌ وَآفَةٌ عَظِيمَةٌ . قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ  
أَبُو نَصْرِ الصَّفَّارُ الْأَنْصَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

يَأْتِنَفْسُ يَأْتِنَفْسُ لَا تُرْخِي عَنِ الْعَمَلِ      فِي الْبِرِّ وَالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ فِي مَهَلٍ  
لِكُلِّ ذِي عَمَلٍ فِي الْخَيْرِ مُغْتَبِطٌ      وَفِي بَلَاءٍ وَشَوْمٍ كُلِّ ذِي كَسَلٍ

(١) السفاف: الردى، الحقير

(٢) صلى عصاك: أى لبنا بالنار ليسهل تقويمها : والمعنى أن خير وسائل تقويم  
المعوج وإصلاح الفاسد ، الاستدامة والاستمرار .

قَالَ الْمُصَنَّفُ وَقَدْ اتَّفَقَ لِي فِي هَذَا الْمَعْنَى :

دَعَى نَفْسِي التَّكَاثُلَ وَالتَّوَانِي وَإِلَّا فَأَتَيْتُ فِي ذَا (١) الْهُوَانِ  
فَلَمْ أَرَ لِلْكَسَالِ الْحِطَّ يُعْطَى سِوَى نَدَمٍ وَحَرَمَانِ الْأَمَانِ  
وَقِيلَ :

كَمْ مِنْ حَيَاءٍ وَكَمْ تَعْجِزٍ وَكَمْ نَدَمٍ جَمَّ تَوَلَّدَ لِلْإِنْسَانِ مِنْ كَسَلٍ (٢)  
إِيَّاكَ عَنْ كَسَلٍ فِي الْبَحْثِ عَنْ شَيْءٍ فَأَعْلَيْتَ ، وَمَا قَدْ شَذَّ عَنْكَ سَلِ (٣)  
وَقَدْ قِيلَ : الْكَسَلُ مِنْ قِلَّةِ التَّأَمُّلِ فِي مَنَاقِبِ الْعِلْمِ وَفَضَائِلِهِ ، فَيَنْبَغِي لِلتَّعَلُّمِ  
أَنْ يَبْعَثَ نَفْسَهُ عَلَى التَّحْصِيلِ وَالْجِدِّ وَالْمُوَاطَّاعَةِ بِالتَّأَمُّلِ فِي فَضَائِلِ الْعِلْمِ ،  
فَإِنَّ الْعِلْمَ يَبْقَى بِيَقَاءِ الْمَعْلُومَاتِ ، وَالْمَالُ يَفْنَى ، كَمَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ

(١) ذَا الْهُوَانِ : أَيْ هَذَا الْهُرَانِ

(٢) الْمُرَادُ بِالْحَيَاءِ هُنَا الْحِجَلُ ، يَعْنِي أَنَّ الْكَسَلَ كَثِيرًا مَا خَجَلَ الْإِنْسَانُ بِسَبَبِهِ  
وَوَقَفَ عَاجِزًا نَادِمًا

(٣) إِيَّاكَ عَنْ كَسَلٍ : ابْتَعِدْ عَنِ الْكَسَلِ ، شَذَّ عَنْكَ : بَعْدَ عَنْكَ وَصَعِبَ عَلَيْكَ  
أَيْ لَا تَوَانٍ وَلَا تَمَرُّطَ فِي الْبَحْثِ وَالتَّنَقُّبِ حَتَّى تَعَثَرَ عَلَى مَا يَرِيدُ مَا عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ  
وَشَكُوكَ ، قَالَنِي اسْتَطَعْتُ أَنْ تَعْلِمَهُ بِنَفْسِكَ أَكْتَفَيْتَ بِهِ ، وَالَّذِي صَعِبَ عَلَيْكَ  
الِاهْتِدَاءُ إِلَى الصِّرَاطِ فِيهِ فَاسْأَلْ عَنْهُ أَهْلَ الْعِلْمِ بِهِ .

أَبْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ :

رَضِينَا قِسْمَةَ الْجِبَارِ فِينَا لَنَا عِلْمٌ وَلِلْأَعْدَاءِ مَالٌ  
فَإِنَّ الْمَالَ يَفْنَى عَنْ قَرِيبٍ وَإِنَّ الْعِلْمَ يَبْقَى لَا يَزَالُ

وَالْعِلْمُ النَّافِعُ يَحْصُلُ بِهِ حُسْنُ الذِّكْرِ وَيَبْقَى ذَلِكَ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، فَإِنَّهُ حَيَاةٌ  
أَبَدِيَّةٌ . أَنَشَدَنَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْأَجَلُ ظَهِيرُ الدِّينِ مُقَيِّمُ الْأُئِمَّةِ حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ  
الْمَعْرُوفُ بِالْمَرْغِينَانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

الْجَاهِلُونَ قَوَّتْ قَبْلَ مَوْتِهِمُ وَالْعَالِمُونَ وَإِنْ مَاتُوا فَأَحْيَاهُ (١)  
وَأَنَشَدَنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ بَرْهَانُ الدِّينِ :

وَفِي الْجَهْلِ قَبْلَ الْمَوْتِ مَوْتُ لِأَهْلِهِ فَأَجْسَاهُمْ قَبْلَ الْقُبُورِ قُبُورُ  
وَإِنْ أَمْرًا لَمْ يَحْيَ بِالْعِلْمِ مَيِّتٌ وَلَيْسَ لَهُ حِينَ النُّشُورِ نُشُورُ (٢)

(١) مَوْتَى : جَمْعُ مَيِّتٍ ، وَالتَّوَانُ عَلَى تَقْدِيرِ أَمَّا فِي الْكَلَامِ : أَيْ أَمَّا الْجَاهِلُونَ  
فَهُمْ مَوْتَى .

(٢) النُّشُورُ : الْبَعْثُ ، يَقَالُ : يَوْمَ النُّشُورِ أَيْ يَوْمَ الْبَعْثِ .

وقال غيره :

أَخُو الْعِلْمِ حَتَّى خَالَدٍ بَعْدَ مَوْتِهِ وَأَوْصَالُهُ تَحْتَ التُّرَابِ رَمِيمٌ<sup>(١)</sup>  
وَذُو الْجَهْلِ مَيِّتٌ وَهُوَ يَمْشِي عَلَى التُّرَى يُقَلُّ مِنَ الْأَحْيَاءِ وَهُوَ عَدِيمٌ<sup>(٢)</sup>

وقال آخر :

حَيَاةُ الْقَلْبِ عِلْمٌ فَأَغْنِيهِ وَمَوْتُ الْقَلْبِ جَهْلٌ فَاجْتَنِبْهُ  
وَأَنْشَدَنَا الشَّيْخُ الْأَسَازُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ بُرْهَانُ الدِّينِ رَحِمَهُ اللَّهُ :

ذَا الْعِلْمِ أَعْلَى رُتَبَةٍ فِي الْمَرَاتِبِ وَمِنْ دُونِهِ عِزُّ الْعُلَى فِي الْمَوَاقِبِ<sup>(٣)</sup>  
قَدْوُ الْعِلْمِ يَبْقَى عِزُّهُ مُتَضَاعِفًا وَذُو الْجَهْلِ بَعْدَ الْمَوْتِ تَحْتَ التِّيَارِبِ<sup>(٤)</sup>

(١) رميم : بالية وفاتية

(٢) الترى : التراب الندى والمقصود به هنا الأرض

(٣) المراكز جمع مركب ، وهو الجماعة السائرة ركباناً أو مشاة ، والمقصود مطلق الجماعة ، يعنى أن هذا العلم منزلته أعلى المنازل وأشرفها وكل المعالي والرياسات في الجماعات درته في الشرف والرفعة

(٤) التيارب جمع تيرب وهو التراب ، يعنى أن المتعلم لا يزول عزه ويحده بعد وفاته بل يبقى كاملاً غير منقوص ، وقد يتضاعف بما يناله في الآخرة من سعادة ونعيم . أما الجاهل فإن عزه يزول بعد دفنه تحت التراب .

فَهَبَاتٍ لَا يَرْجُو مَدَاهُ مِنْ أَرْقَى رُقًى وَلِي الْمَلِكِ وَالِي الْكِتَابِ<sup>(١)</sup>  
سَأَمَلِي عَلَيْكُمْ بَعْضَ مَا فِيهِ فَاسْمَعُوا فِي حَصْرٍ عَنْ ذِكْرِ كُلِّ الْمَنَاقِبِ<sup>(٢)</sup>  
هُوَ النُّورُ كُلُّ النُّورِ يَهْدِي عَنِ الْعَمَى وَذُو الْجَهْلِ مَرَّ الدَّهْرِ بَيْنَ الْغِيَابِ<sup>(٣)</sup>  
هُوَ الذَّرْوَةُ الشَّيْءُ تَحْمِي مِنَ التَّجَا إِلَيْهَا وَيَمْشِي آمِنًا فِي النَّوَابِ<sup>(٤)</sup>  
بِهِ يَنْتَجِي وَالنَّاسُ فِي غَفْلَاتِهِمْ بِهِ يَرْتَجِي وَالرُّوحُ بَيْنَ التَّرَاتِبِ<sup>(٥)</sup>  
بِهِ يَشْفَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ رَاحٍ عَاصِيًا إِلَى دَرَكِ الثَّيَرَانِ شَرِّ الْعَوَاقِبِ<sup>(٦)</sup>

(١) مناه : غايته ، والى : حاكم ، الكتاب : جمع كتيبة وهي القرعة العظيمة من الجنود يعنى أن الملوك والسلاطين أصحاب الجنود العديدة والجيوش الكبيرة لا يلغون من العز والمجد مبلغ العلماء والحكام

(٢) حصر بفتح الحاء والصاد : مجزوعى . المناقب جمع منقبة : المفخرة والفضيلة

(٣) مر الدهر : مدى الدهر ، الغياب جمع غيب : الظلام الشديد

(٤) الذروة : ذروة كل شئ أعلاه قدروة الجبل قته ، والشئاء : المرتفعة العالية ، أى أن العلم ينجي صاحبه من المهالك ، ويحميه من المعاطب كما تحمى الذروة العالية من التجأ إليها وتنجي من اعتصم بها (٥) ينتجى : يطلب النجاة ، التراتب : عظام الصدر ، يعنى أن العلم ينجي من الضلال في الحياة الدنيا ومن العذاب في الآخرة ويرجو المرء حين تحضره الوفاة أن يغفر الله له ذنوبه

(٦) يشفع الإنسان من راح عاصيا : أى يضم العالم بعض حسناته إلى حسنات



قَمْنَ رَامَهُ رَامَ الْمَارِبَ كُلَّهَا وَمَنْ حَاذَهُ قَدْ حَاذَ كُلَّ الْمَطَالِبِ (١)  
هُوَ الْمَنْصَبُ الْعَالِي فَيَا صَاحِبَ الْحِجَا إِذَا نَلْتَهُ هَوْنٌ بِقَوْتِ الْمَنَاصِبِ (٢)  
فَإِنْ فَاتَكَ الدُّنْيَا وَطِيبُ نَيْمِهَا فَتَمَضَّ فَإِنَّ الْعِلْمَ خَيْرُ الْمَوَاقِبِ  
وَأَنْشَدْتُ لِبَعْضِهِمْ :

إِذَا مَا عَتَزْتُ ذُو عِلْمٍ يَعْلِمُ فَعِلْمُ الْفَقْهِ أَوْلَى بِاعْتِرَازِ  
فَكَمْ طِيبٌ بِفُوحٍ وَلَا كِسْكٍ وَكَمْ طَيْرٌ بِطَيْرٍ وَلَا كِبَازِي (٣)

من مات عاميا، فترجع حسنة على سيئاته فيغفر له الله ويغفوه. والدرك جمع دركة وهي المنزلة. فهي في المبوط تقابل الدرجة في الصعود. والمواقب جمع عاقبة وهي النهاية. وشر بالجر صفة لليران.

(١) رامة: طلبه، والمأرب جمع مأرب: الغرض والمطلب.

(٢) المنصب بفتح الميم والصاد: المقام. الحجا: العقل، هون بقوت المناصب: اعتبر قوت المناصب الأخرى وضياعها والحرمان منها أمرا لا يؤبه له ولا يهتم به (٣) يفوح: ينتشر. والبيت يتضمن مثلين سائرين يضرب كل منهما لبيان فضل الشيء وغيره أفضل منه: فكم طيب يفوح ولا كسك أي أن الطيب الذي تنتشر رائحته وتطعم الجو كثير ولكنه في طيب رائحته وجمال شذاه ليس كالملك لأن الملك أطيب منه وأزكى، وكذلك وكَمْ طَيْرٌ بِطَيْرٍ وَلَا كِبَازِي: معناه أن البازي أقوى الطيور كلها وأشدّها طيرانا.

وَأَنْشَدْتُ أَيْضًا :

الْفَقْهُ أَنْفُسُ شَيْءٍ أَنْتَ دَاخِرُهُ مَنْ يَدْرُسُ الْعِلْمَ لَمْ تَدْرُسْ مَفَاخِرُهُ (١)  
فَاكْسِبْ لِنَفْسِكَ مَا أَصْبَحَتْ تَجْهَلُهُ قَاوِلُ الْعِلْمِ إِقْبَالُ وَآخِرُهُ

وَكَتَبْتُ بِلَذَّةِ الْعِلْمِ وَالْفَقْهِ دَاعِيَا وَبَاعِيَا لِلْعَاقِلِ عَلَى تَحْصِيلِ الْعِلْمِ. وَقَدْ تَوَلَّدَ

الْكَسْلُ مِنْ كَثْرَةِ الْبَلْغَمِ وَالرُّطُوبَاتِ وَطَرِيقُ تَقْلِيلِهِ تَقْلِيلُ الطَّعَامِ. قِيلَ :

اتَّفَقَ سَبْعُونَ نَبِيًّا عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَنَّ أَكْثَرَ النَّسِيَانِ مِنْ كَثْرَةِ

الْبَلْغَمِ وَكَثْرَةِ الْبَلْغَمِ مِنْ كَثْرَةِ شُرْبِ الْمَاءِ، وَكَثْرَةُ شُرْبِ الْمَاءِ مِنْ كَثْرَةِ

الْأَكْلِ، وَالْحُبْزُ الْيَابِسُ يَقْطَعُ الْبَلْغَمَ؛ وَكَذَلِكَ أَكْلُ الزَّيْبِ عَلَى الرَّبْقِ،

وَلَا يُكْثَرُ مِنْهُ حَتَّى لَا يَحْتَاجَ إِلَى شُرْبِ الْمَاءِ فَيَزِيدُ الْبَلْغَمَ، وَالسَّوَاكُ يَقْلِلُ

الْبَلْغَمَ وَيَزِيدُ فِي الْحِفْظِ وَالْفَصَاحَةِ، فَإِنَّهُ سَنَةٌ سَنِيَّةٌ، وَيَزِيدُ فِي ثَوَابِ الصَّلَاةِ

وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ؛ وَكَذَلِكَ الْقَيُّ يَقْلِلُ الْبَلْغَمَ وَالرُّطُوبَاتِ، وَطَرِيقُ تَقْيِيلِ

(١) المراد بالفقه في هذا البيت العلم مطلقا. وداخره: أي مدخره ومقتصره،

من يدرس العلم أي يقرأه، ولم تدرس مفاخره أي لم تمنح أسباب غره ودواعي مجده.

الْأَكْلِ التَّامِلُ فِي مَنَافِعِ قَلَّةِ الْأَكْلِ ، وَهِيَ الصَّحَّةُ وَالْعِفَّةُ وَالْإِيثَارُ <sup>(١)</sup>  
وَقَدْ قِيلَ :

فَعَارُ نَمِّ عَارٍ نَمَّ عَارٌ شَقَاءُ الْمَرْءِ مِنْ أَجْلِ الطَّعَامِ <sup>(٢)</sup>  
وَعَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ : «ثَلَاثَةٌ نَفَرٌ يَغْضِبُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى  
مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ» <sup>(٣)</sup> : الْأَكُولُ وَالْبَخِيلُ وَالْمُتَكَبِّرُ ، وَالتَّامِلُ <sup>(٤)</sup> فِي مَضَارِّ كَثْرَةِ  
الْأَكْلِ وَهِيَ الْأَمْرَاضُ وَكَلَالَةُ الطَّيْعِ . قِيلَ : الْبُطْنَةُ تَذْهَبُ الْفُطْنَةَ <sup>(٥)</sup>  
(حَكِي) عَنْ جَالِينُوسٍ أَنَّهُ قَالَ : الرَّمَانُ نَفَعَ كُلَّهُ ، وَالسَّمَكُ ضَرَرَ كُلَّهُ ،

(١) الإِيثَارُ : هُوَ اخْتِيَارُ مَنَفْعَةِ الْغَيْرِ وَمَصْلَحَتِهِ عِنْدَ تَعَارُضِهَا مَعَ مَنَفْعَةِ النَّفْسِ  
وَمَصْلَحَتِهَا ، كَمَا إِذَا كَانَ اثْنَانِ فِي حَالَةٍ عَطَشٍ وَمَعَ أَحَدِهِمَا مَا يَكْفِيهِ وَحْدَهُ مِنَ  
الْمَاءِ فَيَقْدِمُهُ لِرَفِيقِهِ وَيَحْرَمُ مِنْهُ نَفْسَهُ

(٢) أَيْ أَنَّ الطَّعَامَ وَحْدَهُ لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يَشْتَقِيَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ مِنْ أَجَلِهِ لِأَنَّ  
الْقَلِيلَ مِنْهُ يَكْفِي ، وَالَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يَشْتَقِيَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ مِنْ أَجَلِهِ إِذَا مَا هُوَ الْعِلْمُ  
لِأَنَّهُ السَّبِيلُ الْوَحِيدُ إِلَى الْمَجْدِ وَالشَّرَفِ

(٣) جُرْمٌ : إِثْمٌ وَذَنْبٌ

(٤) وَالتَّامِلُ بِالرَّفْعِ لِأَنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَى التَّامِلِ فِي مَنَافِعِ قَلَّةِ الْأَكْلِ

(٥) الْبُطْنَةُ بِكَسْرِ الْبَاءِ : امْتِلَاءُ الْبُطْنِ بِالْأَكْلِ ، وَالْفُطْنَةُ بِكَسْرِ الْفَاءِ :

الذِّكَاةُ وَالتَّيَقِظُ .

وَقَلِيلُ السَّمَكِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرِ الرَّمَانِ . وَفِيهِ أَيْضًا إِتْلَافُ الْمَالِ ، وَالْأَكْلُ  
فَوْقَ الشَّيْءِ ضَرَرٌ مَحْضٌ ، وَيُسْتَحَقُّ بِهِ الْعِقَابُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ ، وَالْأَكُولُ  
بَغِيضٌ فِي الْقُلُوبِ ، وَطَرِيقُ تَقْلِيلِ الْأَكْلِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَطْعِمَةَ الدَّسِيمَةَ ،  
وَيَقْدِمَ فِي الْأَكْلِ الْأَلْطَفَ وَالْأَشْيَى ؛ وَلَا يَأْكُلْ مَعَ الْجِيَاعِ ، إِلَّا إِذَا  
كَانَ لَهُ غَرَضٌ صَحِيحٌ فِي كَثْرَةِ الْأَكْلِ ، بِأَنْ يَتَّقُوهُ عَلَى الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ  
وَالْأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ فَلَهُ ذَلِكَ

### ﴿فصل في بداية السبق وقدره وترتيبه﴾

كَانَ أَسَاتِذُنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ بُرْهَانُ الدِّينِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَقِفُ <sup>(١)</sup> بَدَءَةَ  
السَّبْقِ عَلَى يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ ، وَكَانَ يَرَوِي فِي ذَلِكَ حَدِيثًا ، وَيَسْتَدِلُّ بِهِ وَيَقُولُ  
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مِنْ شَيْءٍ بُدِئَ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ إِلَّا  
وَقَدْ نَمَّ ، وَهَكَذَا كَانَ يَقُولُ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَكَانَ يَرَوِي هَذَا

(١) يَقِفُ : يَحْضُرُ وَيَقْصُرُ .

الْحَدِيثَ عَنْ أَسَاطِدِ الشَّيْخِ الْإِمَامِ الْأَجَلِ قَوَامِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الرَّشِيدِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَصَمِعْتُ مَنْ أَتَى بِهِ أَنَّ الشَّيْخَ أَبَا يَوْسُفَ الْمَعْدَانِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى كَانَ يَقِفُ كُلَّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الْخَيْرِ عَلَى يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ ، وَهَذَا لِأَنَّ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ يَوْمٌ خُلِقَ فِيهِ النُّورُ ، وَهُوَ يَوْمٌ يُنْحَسِرُ فِي حَقِّ الْكُفَّارِ فَيَكُونُ مُبَارَكًا لِلْمُؤْمِنِينَ (١)

وَأَمَّا قَدْرُ السَّبْقِ فِي الْإِبْتِدَاءِ ، فَقَدْ كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَحْكِي عَنْ الشَّيْخِ الْقَاضِي الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ الْإِمَامِ أَبِي بَكْرٍ الزَّرَنْجِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ قَالَ : قَالَ مَشَائِخُنَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى : يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَدْرُ السَّبْقِ لِلْبَيْتِيِّ قَدْرًا مَا يُمْكِنُ ضَبْطُهُ بِالْإِعَادَةِ مَرَّتَيْنِ بِالرَّقْءِ ، وَيَزِيدُ كُلَّ يَوْمٍ كَلِمَةً حَتَّى إِذَا طَالَ السَّبْقُ وَكَثُرَ يُمْكِنُ ضَبْطُهُ بِالْإِعَادَةِ مَرَّتَيْنِ ، وَيَزِيدُ بِالرَّقْءِ وَالتَّدْرِيجِ فَأَمَّا إِذَا طَالَ السَّبْقُ فِي الْإِبْتِدَاءِ (٢) وَاحْتِاجَ إِلَى الْإِعَادَةِ عَشْرَ مَرَّاتٍ ، فَهُوَ

(١) الحق أن الأيام كلها تستوى عند الله وأن التفاؤل أو التشاؤم ببعض الأيام أو الساعات ليس من الدين في شيء .

(٢) فأما إذا طال السبق في الإبتداء ، يعني أن طول الاستماع لا ينبغي أن

فِي الْإِتِهَامِ أَيْضًا يَكُونُ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ يُعْتَادُ ذَلِكَ . وَلَا يَتْرُكُ تِلْكَ الْعَادَةَ إِلَّا بِجُحْدٍ كَثِيرٍ ، وَقَدْ قِيلَ : السَّبْقُ حَرْفٌ وَالتَّكْرَارُ أَلْفٌ (١) وَيَنْبَغِي أَنْ يَبْتَدِيَ بِشَيْءٍ يَكُونُ أَقْرَبَ إِلَى فَهْمِهِ ، وَكَانَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْأُسْتَاذُ شَرْفُ الدِّينِ الْعَقِيلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : الصَّوَابُ عِنْدِي فِي هَذَا مَا فَعَلَهُ مَشَائِخُنَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَخْتَارُونَ لِلْبَيْتِيِّ صَغَارَاتِ الْمَبْسُوطِ (٢) ، لِأَنَّهُ أَقْرَبَ إِلَى الْفَهْمِ وَالضَّبْطِ ، وَأَبْعَدُ عَنِ الْمَلَالَةِ وَأَكْثَرُ وَقُوعًا بَيْنَ النَّاسِ ، وَيَنْبَغِي أَنْ يُعْلَقَ السَّبْقُ بَعْدَ الضَّبْطِ (٣) وَالْإِعَادَةُ كَثِيرًا ، فَإِنَّهُ نَافِعٌ جَدًّا ، وَلَا يَكْتَبُ الْمُتَعَلِّمُ شَيْئًا لَا يَفْهَمُهُ ، فَإِنَّهُ يُوْرِثُ كِلَالََةَ الطَّبْعِ ، وَيَذْهَبُ الْفِطْنَةُ وَيَضِيعُ أَوْقَاتُهُ ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَجْتَهِدَ فِي الْفَهْمِ عَنِ الْأُسْتَاذِ ، أَوْ بِالتَّأَمُّلِ وَالتَّفَكُّرِ وَكَثْرَةِ

يزيد على أن يعاد البيان والشرح مرتين في الموضوع الواحد ، أما إذا زاد عن ذلك فإنه يعتاد طول الاستماع وتكرار الشرح فيطوّر فهمه ويقلد عقله

(١) السبق حرف والتكرار ألف أي تعلم قليلا وكرر ما تعلمته كثيرا ،

وهذا مثل قولهم : قراءة كتاب واحد مرتين أضع من قراءة كتابين مرة واحدة .

(٢) يعني الكتب الصغيرة التي تتضمن خلاصات الكتب المطولة .

(٣) تعليق السبق : كتابة خلاصة الدرس وهو ما يسمى الآن بالملخص السبوري .



التكرار ، فإنه إذا قلَّ السُّبْقُ وَكَثُرَ التَّكْرَارُ وَالتَّأَمُّلُ يَدْرُكُ وَيُفْهَمُ ، فَقَدْ قِيلَ حِفْظُ حَرْفَيْنِ خَيْرٌ مِنْ سَمَاعِ وَفَرَيْنِ ، وَفَهْمُ حَرْفَيْنِ خَيْرٌ مِنْ حِفْظِ وَفَرَيْنِ<sup>(١)</sup> وَإِذَا تَهَوَّنَ فِي الْفَهْمِ وَلَمْ يَجْتَهِدْهُ أَوْ مَرَّتَيْنِ يَتَّادُ ذَلِكَ ، فَلَا يَفْهَمُ الْكَلَامَ الْبَسِيرَ ، فَيَنْبَغِي أَلَّا يَتَهَوَّنَ فِي الْفَهْمِ بَلْ يَجْتَهِدُ وَيَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى وَيَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ ، فَإِنَّهُ يُجِيبُ مِنْ دَعَاةٍ ، وَلَا يُجِيبُ مَنْ رَجَاهُ ، انْشَدَنَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْأَجَلُّ قَوَامُ الدِّينِ حَمَادُ بْنُ إِسْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الصَّفَارِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِمْلَاءً لِلْقَاضِي الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ السَّجَزِيِّ<sup>(٢)</sup> فِي ذَلِكَ :

أَخَذِمُ الْعِلْمَ خِدْمَةَ الْمُتَفِيدِ      وَأَدِمُ دَرْسَهُ بِعَقْلِ حَمِيدِ  
وَإِذَا مَا حَفِظْتَ شَيْئًا أَعِدْهُ      ثُمَّ أَكْثَرْهُ غَايَةَ التَّأَكُّدِ  
ثُمَّ عَلِّقْهُ كَيْ تَعُودَ إِلَيْهِ      وَإِلَى دَرْسِهِ عَلَى التَّأْيِيدِ  
وَإِذَا مَا أَمِنْتَ مِنْهُ قَرَأْنَا      فَاتَّعَدِبْ بَعْدَهُ لَشَيْءٍ جَدِيدِ<sup>(٣)</sup>

(١) وقرين مثني وقر بكسر الواو : الحبل الثقيل .

(٢) في بعض النسخ : السرخسي (٣) فانتدب : سارع ، أى كلما توفقت من فهم شيء وحفظه وأمنت من نسيانه ، يادر إلى تعلم غيره .

مَعَ تَكَرُّارٍ مَا تَقَدَّمَ مِنْهُ      اُعْتَنَاءَ بِشَأْنِ هَذَا الْمُرِيدِ  
ذَا كَرِهَ النَّاسُ بِالْعُلُومِ لِحَيَا      لَا تَكُنْ مِنْ أُولَى النَّهْيِ يَبْعِيدِ  
إِنْ كَتَمْتَ الْعُلُومَ أَنْسَيْتَ حَتَّى      لَا تَرَى غَيْرَ جَاهِلٍ وَبَلِيدِ  
ثُمَّ أُتِمَّتْ فِي الْقِيَامَةِ نَارًا      وَتَلَهَّبَتْ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ<sup>(١)</sup>  
وَلَا بُدَّ لَطَالِبِ الْعِلْمِ مِنَ الْمَذَاكِرَةِ وَالْمُنَاطَرَةِ وَالْمُطَارَحَةِ فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بِالْإِنْصَافِ وَالتَّائِي وَالتَّأَمُّلِ ، وَيَتَحَرَّزُ عَنِ الشُّغْبِ وَالنَّضَبِ ، فَإِنَّ الْمُنَاطَرَةَ وَالْمَذَاكِرَةَ مُشَاوِرَةً ، وَالْمُشَاوِرَةَ إِمَّا تَكُونُ لِإِسْتِخْرَاجِ الصَّوَابِ وَذَلِكَ إِمَّا يَحْصُلُ بِالتَّأَمُّلِ وَالتَّائِي وَالْإِنْصَافِ ، وَلَا يَحْصُلُ بِالنَّضَبِ وَالشُّغْبِ ، فَإِنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ إلْزَامُ الْخَصْمِ فَلَا تَحِلُّ الْمُنَاطَرَةُ ، وَإِمَّا تَحِلُّ لِإِظْهَارِ الْحَقِّ . وَالتَّمْوِيهِ وَالْحِيلَةِ فِيهَا لَا تَجُوزُ إِلَّا إِذَا كَانَ الْخَصْمُ مُتَعَتِّيًا لَا طَالِبًا لِلْحَقِّ

(١) في هذين البيتين إشارة إلى قوله صلى الله عليه وسلم : « من علم علما فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار » وقال صلى الله عليه وسلم « ما آتى الله أحدا علما إلا أخذ عليه الميثاق ألا يكتمه أحدا » .

وَكَانَ مُحَمَّدٌ بْنُ يَحْيَى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِذَا تَوَجَّهَ عَلَيْهِ الْإِشْكَالُ وَلَمْ يَحْضُرْهُ  
الْجَوَابُ يَقُولُ: مَا لَزِمْتُهُ لَزِمَ، وَأَنَا فِيهِ نَاطِرٌ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ  
وَفَائِدَةُ الْمُطَارَحَةِ وَالْمُنَاطَرَةِ أَقْوَى مِنْ فَائِدَةِ مُجَرَّدِ التَّكْرَارِ، لِأَنَّ فِيهَا تَكَرُّارًا  
وَزِيَادَةً فَقَدْ قِيلَ: مُطَارَحَةُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ تَكَرُّارِ شَهْرٍ. وَلَكِنْ إِذَا كَانَ  
مَعَ مُنْصِفٍ سَلِيمٍ الطَّبِيعَةِ. وَإِيَّاكَ وَالْمَذَاكِرَةَ مَعَ مُتَعَنِّتٍ غَيْرِ مُسْتَقِيمٍ الطَّبِيعِ  
فَإِنَّ الطَّبِيعَةَ مُتَسَرِّبَةً، وَالْأَخْلَاقَ مُتَعَدِّبَةً، وَالْمُجَاوِرَةَ مُؤَثَّرَةً. وَفِي الشَّعْرِ  
الَّذِي ذَكَرَهُ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ فَوَائِدَ كَثِيرَةً وَقَدْ قِيلَ:

الْعِلْمُ مِنْ شَرْطِهِ لِمَنْ خَدَمَهُ أَنْ يَجْعَلَ النَّاسَ كُلَّهُمْ خَدَمَهُ

وَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَكُونَ مُتَمَلِّلاً فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ فِي دَقَائِقِ (١)  
الْعُلُومِ وَيَتَعَادُ ذَلِكَ، فَإِذَا تَدْرَكَ الدَّقَائِقُ بِالتَّأَمُّلِ، وَلِهَذَا قِيلَ: تَأَمَّلْ تُدْرِكْ،  
وَلَا بُدَّ مِنَ التَّأَمُّلِ قَبْلَ الْكَلَامِ حَتَّى يَكُونَ صَوَابًا، فَإِنَّ الْكَلَامَ كَالسَّهْمِ

(١) دَقَائِقُ الْعُلُومِ جَمْعُ دَقِيقَةٍ: الْمَسَئَلَةُ الْمَعْبُودَةُ.

فَلَا بُدَّ مِنْ تَقْوِيمِهِ (١) بِالتَّأَمُّلِ قَبْلَ الرَّيِّ حَتَّى يَكُونَ مُصَيًّا، قَالَ فِي أُصُولِ  
الْفِقْهِ: هَذَا أَصْلُ كَبِيرٌ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ كَلَامُ الْفَقِيهِ الْمُنَاطِرِ بِالتَّأَمُّلِ.  
وَقِيلَ: رَأْسُ الْعَقْلِ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ بِالتَّثَبُّتِ وَالتَّأَمُّلِ. قَالَ الْقَاتِلُ:  
أَوْصِيكَ فِي تَقْيِيمِ الْكَلَامِ بِخَمْسَةٍ إِنْ كُنْتَ لِلرُّوْحِيِّ الشَّفِيقِ مُطِيعًا  
لَا تَغْفُلَنَّ سَبَبَ الْكَلَامِ وَوَقْتَهُ وَالْكَيفَ وَالْكَهْمَ وَالْمَكَانَ جَمِيعًا (٢)  
وَيَكُونُ مُسْتَفِيدًا فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ وَالْأَوْقَاتِ مِنْ جَمِيعِ الْأَشْخَاصِ.  
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ، أَيْنَمَا وَجَدَهَا  
أَخَذَهَا. وَقِيلَ: خُذْ مَا صَفَا وَدَعْ مَا كُدِرَ. وَسَمِعْتُ الشَّيْخَ الْإِمَامَ الْأُسْتَاذَ  
نُحْرَ الدِّينِ الْكَاشَّانِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: كَانَتْ جَارِيَةُ أَبِي يُوسُفَ رَحِمَهُ  
اللَّهُ أَمَانَةً عِنْدَ مُحَمَّدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ. فَقَالَ لَهَا مُحَمَّدٌ: هَلْ تَحْفَظِينَ فِي هَذَا

(١) تَقْوِيمُهُ: تَسْدِيدُهُ وَتَقْوِيمُهُ نَحْوُ الْمَدْفِ

(٢) الْكَيفُ: أَيْ طَرِيقَةُ إِقَامَةِ الْكَلَامِ؛ مِنْ خَفَضِ الصَّوْتِ وَرَفَعِهِ، وَمِنْ  
هَدْوٍ وَلُطْفٍ أَوْ شِدَّةٍ وَعُنفٍ، وَالْكَهْمُ: الْمَقْدَارُ مِنْ إِيجَازٍ أَوْ إِسْهَابٍ، حَسَبِ  
مُقْتَضَى الْحَالِ.

الوقت من أبي يوسف في الفقه شيئاً؟ قالت: لا، إلا أنه كان يُكرّر ويقول سهم الدور (١) ساقط. لحفظ ذلك منها، وكانت المسئلة مشكلة على محمد رحمه الله تعالى، فارتفع إشكاله بهذه الكلمة فعلم أن الاستفادة ممكنة من كل أحد، ولهذا قال أبو يوسف رحمه الله حين قيل له: بم أدركت العلم؟ قال: ما استنكفت من الاستفادة وما انحأت بالإفادة. قيل لأبي عباس رضي الله تعالى عنهما: بم أدركت العلم؟ قال: بلسان سؤال، وقلب عقول. وإمامي طالب العلم: ما تقول، لكثرة ما كانوا يقولون في الزمان الأول: «ما تقول في هذه المسئلة؟» وإماما تفقه أبو حنيفة رحمه الله تعالى بكثرة المطارحة والمذاكرة في دكانه حين كان بزازاً (٢)، وبهذا يعلم أن تحصيل العلم والفقه يجتمع مع الكسب وكان أبو حفص الكبير رحمه الله يكتب ويكرّر. فإن كان لابد لطالب العلم

(١) سهم الدور ساقط: أي السهم الدائر يسقط ولا يحسب، وهو خاص بمسألة فقهية مشهورة في الميراث  
(٢) البزاز: بائع الثياب والمنسوجات.

من الكسب لتفقه عياله وغيرهم فليكتسب وليكرّر وليذاكروا لا يكسل وليس لصحيح البدن والعقل عذر في ترك التعلم والتفقه فإنه لا يكون أفقر من أبي يوسف رحمه الله تعالى، ولم يمنعه ذلك من التفقه فن كان له مال كثير فنعى المال الصالح للرجل الصالح المنصرف في طريق العلم. قيل لعالم: بم أدركت العلم؟ قال: بأب غني، لأنه كان يصطنع به (١) أهل العلم والفضل فإنه سبب زيادة العلم لأنه شكر على نعمة العقل والعلم، وهو سبب (٢) الزيادة، قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: إنما أدركت العلم بالحمد والشكر فكلما فهمت شيئاً من العلوم ووقفت على فقه وحكمة قلت الحمد لله تعالى، فزاد علي، وهكذا ينبغي لطالب العلم أن يشتغل بالشكر باللسان والجنان والأركان والمسال، ويرى الفهم والعلم والتوفيق من الله تعالى ويطلب الهداية من الله تعالى بالدعاء منه والتضرع إليه، فإنه تعالى هادٍ من

(١) يصطنع به أهل العلم: يبرم ويحسن إليهم  
(٢) وهو سبب الزيادة: أي والشكر هو سبب الزيادة لقوله تعالى: «لئن شكرتم لازيدنكم».



أَسْتَهْدَاهُ ، فَأَهْلُ الْحَقِّ وَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ طَلَبُوا الْحَقَّ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى ،  
 الْحَقُّ الْمُبِينُ الْهَادِي الْعَاصِمُ ، فَهَدَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَعَصَمَهُمْ عَنِ الضَّلَالَةِ ، وَأَهْلُ  
 الضَّلَالَةِ أُعْجِبُوا <sup>(١)</sup> بِرَأْيِهِمْ وَعَقْلِهِمْ وَطَلَبُوا الْحَقَّ مِنَ الْمَخْلُوقِ الْعَاجِزِ ، وَهُوَ  
 الْعَقْلُ ، لِأَنَّ الْعَقْلَ لَا يَذْكُرُ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ ، كَالْبَصَرِ لَا يُبْصِرُ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ  
 فَحُجِبُوا ، وَعَجَزُوا وَاضْلَلُوا ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ «مَنْ عَرَفَ  
 نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ» ، فَإِذَا عَرَفَ عَجَزَ نَفْسُهُ عَرَفَ قُدْرَةَ اللَّهِ تَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ .  
 وَلَا يَعْتَمِدُ عَلَى نَفْسِهِ وَعَقْلِهِ بَلْ يَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَيَطْلُبُ الْحَقَّ مِنْهُ ،  
 وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ <sup>(٢)</sup> وَيَهْدِيهِ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . وَمَنْ كَانَ  
 لَهُ مَالٌ فَلَا يَبْخُلُ . وَيَبْنِي أَنْ يَتَعَوَّذَ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْبَخْلِ قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ  
 الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : أَيُّ دَاهٍ أَدْوَأُ مِنَ الْبَخْلِ ! وَكَانَ أَبُو الشَّيْخِ الْإِمَامُ الْأَجَلُّ  
 شَمْسُ الْأُئِمَّةِ الْحَوَاتِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَقِيرًا ، يَبِيعُ الْخُلُوعَ ، وَكَانَ يُعْطَى

(١) أُعْجِبُوا بِرَأْيِهِمْ : فَرَحُوا بِهِ وَسُرُّوا مِنْهُ .

(٢) حَسْبُهُ : كَافِيهِ ، وَهَذَا اقْتِبَاسٌ مِنَ الْقُرْآنِ .

الْفَقَهَاءَ مِنَ الْخُلُوعِ وَيَقُولُ : ادْعُوا لِأَبْنِي ! فَبِرَكَّةٍ جُودِهِ وَاعْتِقَادِهِ وَقَضَرُهُ  
 نَالَ ابْنَهُ مَائَالًا ، وَبِشْتَرَى بِالمَالِ الْكُتُبَ . وَبِشْتَكَبُ فَيَكُونُ عَوْنًا عَلَى  
 التَّعَلُّمِ وَالتَّفَقُّهِ ، وَقَدْ كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَالٌ كَثِيرٌ ، حَتَّى  
 كَانَ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوُكُلَاءِ عَلَى مَالِهِ ، فَانْفَقَهُ كُلَّهُ فِي الْعِلْمِ وَالْفَقْهِ ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ  
 ثَوْبٌ نَفِيسٌ ، فَرَأَاهُ أَبُو يُوسُفَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ثَوْبٍ خَلْقٍ ، فَأَرْسَلَ  
 إِلَيْهِ ثِيَابًا نَفِيسَةً ، فَلَمْ يَقْبَلْهَا وَقَالَ : عَجَلَ لَكُمْ وَأَجَلَ لَنَا

وَلَعَلَّهُ إِيْمَانًا يَقْبَلُهَا وَإِنْ كَانَ قَبُولُ الْهَدِيَّةِ سُنَّةً ، لِمَا رَأَى أَنْ فِي ذَلِكَ  
 مَذَلَّةٌ لِنَفْسِهِ ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : «لَيْسَ لِلدُّنْيَا مَنْ أَنْ يَذِلَّ نَفْسُهُ»  
 وَحِكْمِي أَنْ الشَّيْخَ شَحْرَ الْإِسْلَامِ الْأَرَسَابَنْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ جَمَعَ قُشُورَ الْبُطْيَخِ  
 الْمُتَلَفَاةِ فِي مَكَانٍ خَالٍ فَصَلَّاهَا وَأَكَلَهَا فَرَأَتْهُ جَارِيَةٌ ، فَأَخْبَرَتْ بِذَلِكَ مَوْلَاهَا ،  
 فَاتَّخَذَ لَهُ دَعْوَةً وَدَعَا إِلَيْهَا ، فَلَمْ يَقْبَلْ لِهَذَا <sup>(١)</sup> . وَهَكَذَا يَبْنِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ  
 أَنْ يَكُونَ ذَاهِمَةً عَالِيَةً لَا يَطْمَعُ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

(١) اتَّخَذَ لَهُ دَعْوَةً : أَيُّ أَعْدَلَهُ طَعَامًا . لِهَذَا : أَيُّ ثَلَاثًا نَفْسُهُ .

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِيَّاكَ وَالطَّمَعُ فَإِنَّهُ قَرَّرَ حَاضِرُهُ» (١)

وَلَا يَنْخَلُ بِمَا عِنْدَهُ مِنَ الْمَالِ؛ بَلْ يُنْفِقُ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى غَيْرِهِ: وَقَالَ  
النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «النَّاسُ مِنْ خَوْفِ الْفَقْرِ فِي قَرَرِهِ» (٢)، وَكَانُوا  
فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ يَتَعَلَّمُونَ الْحِرَّةَ ثُمَّ يَتَعَلَّمُونَ الْعِلْمَ حَتَّى لَا يَطْمَعُوا فِي أَمْوَالِ  
النَّاسِ؛ وَفِي الْحِكْمَةِ: مَنْ اسْتَقْنَى بِمَالِ النَّاسِ أَفْقَرَ، وَالْعَالَمُ إِذَا كَانَ طَمَاعًا  
لَمْ تَبْقَ لَهُ حُرْمَةُ الْعِلْمِ، وَلَا يَقُولُ بِالْحَقِّ، وَلِهَذَا كَانَ يَتَعَوَّذُ صَاحِبُ الشَّرْعِ  
عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهُ وَيَقُولُ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ طَمَعٍ يَدْنِي إِلَى طَمَعٍ» (٣)، وَيَنْبَغِي  
لِلْمُؤْمِنِ الْأَيُّ جُودًا إِلَّا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَلَا يَخَافُ إِلَّا مِنْهُ تَعَالَى، وَيُظْهِرُ ذَلِكَ  
بِمَجَاوِزَةِ حَدِّ الشَّرْعِ وَعَدَمِهَا، فَمَنْ عَصَى اللَّهَ تَعَالَى خَوْفًا مِنَ الْمَخْلُوقِ فَقَدْ

(١) إِيَّاكَ وَالطَّمَعُ الخ: يعني أن المرء إنما بطمع لحوقه من فقر متوقع  
والطمع فقر حاضر فهو يلتجأ إلى الفقر خوفًا من الفقر كالمستجير من  
الرمضاء بالنار

(٢) الناس .. الخ: تنسب هذه الحكمة إلى أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه

(٣) الطمع بكسر الطاء وفتح الباء: الدنس والميب .

خَافَ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِذَا لَمْ يَعْصِ اللَّهَ تَعَالَى لِحُوفِ الْمَخْلُوقِ وَرَأَقَبَ حُدُودَ  
الشَّرْعِ، فَلَمْ يَخَفْ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى بَلْ خَافَ اللَّهَ تَعَالَى، وَكَذَلِكَ فِي جَانِبِ الرَّجَاءِ (١)  
وَيَنْبَغِي لَطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَتَعَدَّ وَيُقَدِّرَ لِنَفْسِهِ تَقْدِيرًا فِي التَّكْرَارِ، فَإِنَّهُ  
لَا يَسْتَقِرُّ قَلْبُهُ حَتَّى يَبْلُغَ ذَلِكَ الْمَبْلَغَ

وَيَنْبَغِي لَطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَكْرُرَ سَبْقَ الْأَمْسِ خَمْسَ مَرَّاتٍ، وَسَبْقَ الْيَوْمِ  
الَّذِي قَبْلَ الْأَمْسِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، وَالسَّبْقُ الَّذِي قَبْلَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَالَّذِي  
قَبْلَهُ اثْنَيْنِ، وَالَّذِي قَبْلَهُ مَرَّةً وَاحِدَةً، فَهَذَا أَدْعَى إِلَى الْحِفْظِ، وَيَنْبَغِي  
أَلَّا يَتَنَادَّ الْمُخَافَةَ فِي التَّكْرَارِ لِأَنَّ الدَّرْسَ وَالتَّكْرَارَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَا  
بِقُوَّةٍ وَنَشَاطٍ، وَلَا يَجْهَرُ جَهْرًا يُجْهِدُ نَفْسَهُ كَيْلًا يَنْقَطِعَ عَنِ التَّكْرَارِ، فَخَيْرُ  
الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا

حِكْمِي إِنَّ أَبَا يُوسُفَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى كَانَ يَذْكُرُ الْفَقْرَ مَعَ الْفَقْهَاءِ بِقُوَّةٍ  
وَنَشَاطٍ، وَكَانَ صَبْرُهُ عِنْدَهُ يَتَعَجَّبُ مِنْ أَمْرِهِ وَيَقُولُ: أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ جَائِعٌ

(١) يعني إذا لم يعص الله رجاء لمخلوق فهو في الواقع لم يرج غير الله .

مَنْدُ حَسَّةِ أَيَّامٍ ، وَمَعَ ذَلِكَ يُنَاطِرُ بِقُوَّةٍ وَتَشَاطُطٍ . وَيَنْبَغِي أَلَّا يَكُونَ لَطَالِبُ  
الْعِلْمِ قَرَّةً <sup>(١)</sup> فَإِنَّهَا آفَةٌ ، وَكَانَ أَسْتَاذَنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ بَرَهَانُ الدِّينِ رَحِمَهُ  
اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : إِنَّمَا قُتِلَ شُرَكَائِي بِأَنِّي لَمْ تَقَعْ لِي الْقَرَّةُ فِي التَّحْصِيلِ .  
وَكَانَ يُحْكِي عَنْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ الْأَسْجِيحَانِيِّ أَنَّهُ وَقَعَ لَهُ فِي زَمَانٍ تَحْصِيلُهُ  
وَتَعَلُّهُ فِتْرَةً اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً بِانْقِلَابِ الْمُلْكِ ، فَخَرَجَ مَعَ شَرِيكِهِ فِي الْمُنَاطَرَةِ  
إِلَى حَيْثُ يُمَكِّنُهُمَا الْإِسْتِمْرَارُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ، وَظَلَّا يَدْرُسَانِهِ مَعًا اثْنَتَيْ  
عَشْرَةَ سَنَةً ، فَصَارَ شَرِيكُهُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ لِلشَّافِعِيِّينَ ، وَكَانَ هُوَ شَافِعِيًّا ،  
وَكَانَ أَسْتَاذَنَا الشَّيْخُ الْقَاضِي الْإِمَامُ نَحْرُ الْإِسْلَامِ قَاضِيخَانُ يَقُولُ :  
يَنْبَغِي لِلتَّفَقُّهِ أَنْ يَحْفَظَ كِتَابًا وَاحِدًا مِنْ كُتُبِ الْفِقْهِ دَائِمًا لِيَتَيَسَّرَ لَهُ بَعْدَ  
ذَلِكَ حِفْظُ مَا يَسْمَعُ مِنَ الْفَقْهِ

(١) الفترة: العطلة ، ومن أجل هذا كان واجبا على طلاب العلم ألا يتركوا  
المذاكرة أثناء عطلة الصيف .

### (فصل في التوكل)

فَمَنْ لَا يَبْدُ لَطَالِبِ الْعِلْمِ مِنَ التَّوَكُّلِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ، وَلَا يَهْتَمُّ لِأَمْرِ الرِّزْقِ  
وَلَا يَشْغُلُ قَلْبُهُ بِذَلِكَ . رَوَى أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ  
الرَّيْدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ تَفَقَّهَ  
فِي دِينِ اللَّهِ كَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى هَمَّهُ وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ، فَإِنْ مَنِ اشْتَغَلَ  
قَلْبُهُ بِأَمْرِ الرِّزْقِ مِنَ الْقُوَّةِ وَالْكُسُوفِ ، قَلْبًا يَتَفَرَّغُ لِتَحْصِيلِ مَكَارِمِ  
الْأَخْلَاقِ وَمَعَالِي الْأُمُورِ . قِيلَ :

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي <sup>(١)</sup>  
قَالَ رَجُلٌ لِمَنْصُورِ الْحَلَّاجِ : أَوْصِنِي فَقَالَ : هِيَ نَفْسُكَ إِنْ لَمْ تَشْغَلْهَا  
شَغَلَتْكَ . فَيَنْبَغِي لِكُلِّ أَحَدٍ أَنْ يَشْغَلَ نَفْسَهُ بِأَعْمَالِ الْخَيْرِ حَتَّى لَا تَشْغَلَ

(١) يسخر الشاعر من يخالطه بهذا البيت ويحفره لأنه يقول له : إنك لا تستطيع  
الجرى في مجال المكارم والمحامد ، لأن همك محصور في السعي وراء الطعام والكسوة  
ويقصد المصنف باستشهاده بهذا البيت أن يؤيد ما يقوله من أن من اشتغل  
قلبه بتحصيل الرزق قلما يفكر في مكارم الأخلاق ومعالي الأمور .



بِهَا، وَلَا يَهْتَمُّ الْعَاقِلُ لِأَمْرِ الدُّنْيَا لِأَنَّ أَلَمَّ وَالْحُزْنَ لَا يَرُدُّ الْمَصِيبَةَ وَلَا يَنْفَعُ  
بَلْ يَضُرُّ بِالْقَلْبِ وَالْعَقْلِ وَالْبَدَنِ، وَيُخْلُ بِأَعْمَالِ الْخَيْرِ، وَيَهْتَمُّ لِأَمْرِ الْآخِرَةِ  
لأنه ينفع. وأما قوله عليه السلام إن من الذنوب ذنوباً لا يكفرها إلا هم  
المعيشة، فالمراد منه قدرهم لا يخل بأعمال الخير ولا يشغل القلب شغلاً  
يخل بإحضار القلب في الصلاة. فإن ذلك القدر من الهم والقصد من أعمال  
الآخرة، ولا بد لطالب العلم من تقليل العلائق الدنيوية بقدر الوسع.  
ولهذا اختاروا الغربة. ولا بد من تحمل التعب والمشقة في سفر التعلم كما  
قال موسى صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه في سفر التعلم، ولم ينقل  
عنه ذلك في غيره من الأسفار: «لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً، لعلم أن  
سفر العلم لا يخلو من التعب، لأن العلم أمر عظيم، وهو أفضل من الجهاد  
عند أكثر العلماء، والأجر على قدر التعب والنصب. فمن صبر على ذلك  
وجد لذة تفوق سائر لذات الدنيا، ولهذا كان محمد بن الحسن إذا سهر  
الليالي وأتحلت له المشكلات يقول: أين أبناء الملوك من هذه اللذات؟

وَيَبْنِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ إِلَّا يَشْتَغِلْ بِشَيْءٍ آخَرَ غَيْرِ الْعِلْمِ، وَلَا يُعْرِضَ عَنِ  
الْفَقْهِ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنْ صَنَعْتَا هَذِهِ مِنَ الْمَهْدِ إِلَى اللَّحْدِ  
فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتْرَكَ عَلَيْنَا هَذَا سَاعَةً فَلْيَتْرَكْ السَّاعَةَ (١)

وَدَخَلَ فِيهِ عَلَى أَبِي يُوسُفَ يَعُودُهُ فِي مَرَضٍ مَوْتِهِ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ  
فَقَالَ أَبُو يُوسُفَ لَهُ: رَمَى الْجَارِ رَاكِبًا أَفْضَلَ أَمْ رَاجِلًا؟ فَلَمْ يَعْرِفِ  
الْجَوَابَ، فَأَجَابَ بِنَفْسِهِ. وَهَكَذَا يَبْنِي لِلْفَقِيهِ أَنْ يَشْتَغِلَ بِهِ فِي جَمِيعِ  
أَوْقَاتِهِ حَتَّى يَجِدَ لَذَةً عَظِيمَةً فِي ذَلِكَ وَقِيلَ: رُؤِيَ مُحَمَّدٌ فِي الْمَنَامِ بَعْدَ وَفَاتِهِ  
فَقِيلَ لَهُ كَيْفَ كُنْتَ فِي حَالِ النَّزْعِ؟ فَقَالَ كُنْتُ مُتَمَلِّلاً فِي مَسْئَلَةٍ مِنْ  
مَسَائِلِ الْمَكَاتِبِ (٢) فَلَمْ أَشْعُرْ بِخُرُوجِ رُوحِي، وَقِيلَ إِنَّهُ قَالَ فِي آخِرِ

(١) فليترك الساعة: يريد أن من شرع في تعلم الفقه وهو بنو أن يترك  
الاشتغال به في وقت من الأوقات كانت إرادته في تعلم الفقه ضعيفة وتصميمه  
مزعزعا؛ ومن شرع في عمل شيء وهو ضعيف الإرادة مزعزع التصميم لا ينجزه  
ولا يبلغ منه شيئاً، لا سيما إذا كان عظيم الشأن جليل القدر كعلم الفقه، وإذن  
فينبغي له أن يترك الاشتغال به لأنه حيفئذ غير منتج وعيب باطل  
(٢) محمد: هو محمد بن الحسن. والمكاتب بصيغة اسم المفعول: هو العبد

عمره : شغلني مسائل المكاتب عن الاستعداد لهذا اليوم ، وإنما قال ذلك تواضعاً .

### (فصل في وقت التحصيل)

قيل : وقت التعلم من المهد إلى اللحد ، وأفضل الأوقات شرح الشباب (١) ووقت السحر ، وما بين العشاءين ويبنى لطالب العلم أن يستغرق جميع أوقاته ، فإذا مل من علم يشتغل بعلم آخر ، وكان ابن عباس رضي الله تعالى عنه إذا مل من علم الكلام يقول : هاتوا ديوان الشعراء ، وكان محمد بن الحسن لا ينام الليل وكان يضع عنده الدفاتر ، وكان إذا مل من نوع ينظر في نوع آخر .

### (فصل في الشفقة والنصيحة)

ينبغي أن يكون صاحب العلم مشفقاً ناصحاً غير حاسد فالحسد يضر

الذي تعاقد مع سيده أن يعتقه نظير مبلغ من المال مؤجل يصير حراً بعد سداه سيده

(١) شرح الشباب : أوله ، والسحر : قبيل الصبح ، والعشاءان : المغرب والعشاء .

ولا ينفع . وكان أستاذنا شيخ الإسلام برهان الدين رحمه الله يقول : إن ابن المعلم يكون عالماً ، لأن المعلم يريد أن تكون تلاميذه علماء ، فبركة اعتقاده وشفقته يكون ابنه عالماً ، وكان يحكي أن الصدر الأجل برهان الأئمة رحمه الله جعل وقت السبق لأبنائه الصدر الشهيد حسام الدين والصدر السعيد تاج الدين رحمهما الله تعالى وقت الضحوة الكبرى ، بعد جميع الأسباق وكانا يقولان : طيعتنا تكمل وتمل في ذلك الوقت ، فقال أبوهما إن الغرباء وأولاد الكبراء يأتون من أقطار الأرض ، فلا بد من أن أقدم أسباقهم . فبركة شفقته تفوق إنباه على أكثر فقهاء أهل الأرض في ذلك العصر

وينبغي ألا ينافر أحداً ولا يخافه لأنه يضيع أوقاته . قيل : المحسن سيجزي بإحسانه والمسيء يستكفيه مساويه . أنشدني الشيخ الإمام ركن الإسلام محمد بن أبي بكر المعروف بإمام خواهر زاده المفتي رحمه الله قال أنشدني سلطان الشريعة يوسف الهمداني رحمه الله تعالى :

وَلَا تَجْزِ إِنْسَانًا عَلَى سُوءٍ فَعَلَهُ سَيِّئُهُ مَا فِيهِ وَمَا هُوَ فَاعِلُهُ  
وَقِيلَ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَرْغَمَ أَنْفَ عَدُوِّهِ فَلْيُكْرِرْ هَذَا الشَّعْرَ . وَانْشَدَتْ :  
إِذَا شِئْتَ أَنْ تُلْقَى عَدُوَّكَ رَاغِمًا وَتَقْتُلَهُ غَمًّا وَتَحْرِقَهُ هَمًّا  
فَرِّمِ لِلْعَلَا وَازْدِدْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّهُ مِنْ أَزْدَادِ عَلِيٍّ زَادَ حَاسِدُهُ غَمًّا (١)  
وَعَلَيْكَ أَنْ تَشْتَغَلَ بِمَصَالِحِ نَفْسِكَ لِابْقَهْرِ عَدُوَّكَ . فَإِذَا قُمْتَ بِمَصَالِحِ  
نَفْسِكَ تَضَمَّنَ ذَلِكَ قَهْرَ عَدُوِّكَ ، وَإِيَّاكَ وَالْمُعَادَاةَ فَإِنَّهَا تَفْضَحُكَ وَتُضِيعُ  
أَوْقَاتَكَ ، وَعَلَيْكَ بِالتَّحَمُّلِ ، لَا سِيَّامًا مِنَ السُّفَهَاءِ . قَالَ عِيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ  
صَلَّواتُ اللَّهِ عَلَى نَبِيَّائِهِ وَعَلَيْهِ : احْتَمِلُوا مِنَ السُّفِيهِ وَاحِدَةً كَي تَرْجِعُوا عَشْرًا  
وَانْشَدَتْ لِبَعْضِهِمْ :

بَلَوْتُ النَّاسَ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ فَلَمْ أَرْ غَيْرَ خِتَالٍ وَقَالِي (٢)  
وَلَمْ أَرِ فِي الْخُطُوبِ أَشَدَّ وَقَعًا وَأَصْعَبَ مِنْ مُعَادَاةِ الرِّجَالِ

(١) رم للعلا : أطلب العلا ، فعل أمر من رام الشيء : طلبه .  
(٢) ختال : مخادع . قالى : كاره ، من قلاه بقلبه إذا كرمه .

وَذُقْتُ مَرَارَةَ الْأَشْيَاءِ طَرًّا فَمَا شَيْءٌ أَمْرٌ مِنَ السُّؤَالِ  
وَإِيَّاكَ أَنْ تَظُنَّ شَرًّا بِالْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ مَنَشَأُ الْعِدَاةِ وَلَا يَحِلُّ ذَلِكَ لِقَوْلِهِ  
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : «ظَنُّوا بِالْمُؤْمِنِينَ خَيْرًا» وَإِنَّمَا يَنْشَأُ ذَلِكَ مِنْ  
خُبْتِ النَّبَةِ وَسُوءِ السَّرِيرَةِ كَمَا قَالَ أَبُو الطَّبَبِ :  
إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظَنُونُهُ وَصَدَقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُُّمِهِ (١)  
وَعَادَى نُحْبِيهِ بِقَوْلِ عِدَائِهِ وَأَصْبَحَ فِي لَيْلٍ مِنَ الشَّكِّ مُظْلَمٍ (٢)  
وَانْشَدَتْ لِبَعْضِهِمْ :

تَنَحَّ عَنِ الْقَبِيحِ وَلَا تُرِدْهُ وَمَنْ أَوْلَيْتُهُ حَسَنًا فَرِدْهُ  
سَتَكُنِّي مِنْ عَدُوِّكَ كُلِّ كَيْدٍ إِذَا كَادَ الْعَدُوُّ فَلَا تُكَدِّهِ  
وَانْشَدَتْ لِلشَّيْخِ الْعَمِيدِ أَبِي الْفَتْحِ الْبُسْتِي رَحِمَهُ اللَّهُ :

ذُو الْعَقْلِ لَا يَسْلُمُ مِنْ جَاهِلٍ يَسُومُهُ ظُلْمًا وَإِعْنَاتًا (٣)

(١) يعتاده : يتقابه ويرد على ذهنه من خواطر وأوهام

(٢) العداة بضم العين جمع العادى : وهو العدو

(٣) الإعنات : الإخراج من أعتته إذا أخرجته وأوقعه فيها لا يستطيع

الخروج منه .



فَلْيَخْتَرْ السَّلَامُ عَلَى حَرِيهِ وَلْيَلْزِمِ الْإِنْسَاتِ إِنْ صَانَاً (١)

### (فصل في الاستفادة)

وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ طَالِبُ الْعِلْمِ مُسْتَفِيداً فِي كُلِّ وَقْتٍ حَتَّى يَحْصُلَ لَهُ الْفَضْلُ وَطَرِيقُ الْإِسْتِفَادَةِ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ مَحْبَرَةٌ حَتَّى يَكْتُبَ مَا يَسْمَعُ مِنَ الْفَوَائِدِ فَقَدْ قِيلَ : مَنْ حَفِظَ فَرَّ ، وَمَنْ كَتَبَ شَيْئاً قَرَّ (٢) وَقِيلَ : الْعِلْمُ مَا يُؤْخَذُ مِنْ أَنْوَاءِ الرِّجَالِ لِأَنَّهُمْ يَحْفَظُونَ أَحْسَنَ مَا يَسْمَعُونَ وَيَقُولُونَ أَحْسَنَ مَا يَحْفَظُونَ وَتَسَمِعْتُ الشَّيْخَ الْإِمَامَ الْأَدِيبَ الْأَسَازَ زَيْنَ الْإِسْلَامِ الْمَعْرُوفَ بِالْأَدِيبِ الْمُخْتَارِ يَقُولُ : قَالَ هَلَالُ بْنُ يَسَارٍ : رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ شَيْئاً مِنَ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعَدَلِي مَا قُلْتَ لَهُمْ . فَقَالَ لِي : هَلْ مَعَكَ مَحْبَرَةٌ ؟ فَقُلْتُ مَامَعِيَ مَحْبَرَةٌ . فَقَالَ

(١) الْإِنْسَاتِ : الْإِصْفَاءُ ، وَيُرِيدُ بِهِ السَّكُوتُ ، إِنْ صَانَاً : أَيْ إِنْ أَحْدَثَ صَوْتاً وَصَاحَ ، فَالْأَلْفُ فِيهِ لِلْإِشْبَاعِ

(٢) مَنْ حَفِظَ فَرَّ : أَيْ مَنْ حَفِظَ شَيْئاً فَرَّ مِنْهُ مَا حَفِظَهُ ، وَمَنْ كَتَبَ شَيْئاً اسْتَفْرَسَكَ وَسَكَنَ عِنْدَهُ مَا كَتَبَهُ .

يَاهِلَالُ ! لَا تَفَارِقِ الْمَحْبَرَةَ فَإِنَّ الْخَيْرَ فِيهَا وَفِي أَهْلِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَوَصَّى الصَّدْرُ الشَّهِيدُ حُسَامُ الدِّينِ ابْنَهُ شَمْسَ الدِّينِ أَنْ يَحْفَظَ كُلَّ يَوْمٍ شَيْئاً يَسِيراً مِنَ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ ، فَإِنَّهُ عَنْ قَرِيبٍ يَكُونُ كَثِيراً ، وَاشْتَرَى عَصَامُ بْنُ يَوْسُفَ قَلَمًا بِدِينَارٍ لِيَكْتُبَ مَا سَمِعَهُ فِي الْحَالِ ، فَالْعُمَرُ قَصِيرٌ ، وَالْعِلْمُ كَثِيرٌ ، فَيَنْبَغِي أَلَّا يُضَيَّعَ الْأَوْقَاتُ وَالسَّاعَاتُ ، وَيَغْتَمَّ اللَّيَالِي وَالْخَلَوَاتُ . عَنْ أَبِي بَنْ مَعَاذٍ الرَّازِيِّ أَنَّهُ قَالَ : اللَّيْلُ طَوِيلٌ فَلَا تُقْصِرُهُ بِمَنَامِكَ ، وَالنَّهَارُ مُضِيٌّ فَلَا تُكْثِرُهُ بِأَثَامِكَ . وَيَنْبَغِي أَنْ يَغْتَمَّ الشُّيُوخُ وَيَسْتَفِيدَ مِنْهُمْ وَلَيْسَ كُلُّ مَا فَاتَ يُدْرِكُ ، كَمَا قَالَ أَسَازُنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ : هَكَمَ مِنْ شَيْخٍ كَبِيرٍ أَدْرَكَتُهُ وَمَا اسْتَخْبَرْتُهُ ، وَأَقُولُ عَلَى هَذَا الْقَوْتِ مُنْشِئاً هَذَا الْبَيْتَ :  
لَهْنِي عَلَى قَوْتِ التَّلَاقِ لَهْفًا مَا كُلُّ مَا فَاتَ وَيَفْتِي يُلْقِي (١)

قَالَ عَلِيُّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ : إِذَا كُنْتَ فِي أَمْرٍ فَكُنْ فِيهِ (٢) . وَكَفَى بِالْإِعْرَاضِ عَنْ عِلْمِ اللَّهِ خِزْيًا وَخَسَارًا ، وَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْهُ لَيْلاً وَنَهَارًا ،

(١) يُلْقِي : يَجِدُ (٢) إِذَا كُنْتَ فِي أَمْرٍ فَكُنْ فِيهِ : أَيْ إِذَا كُنْتَ فِي شَيْءٍ فَاجْتَهِدْ فِي تَحْصِيلِهِ . (٥ - تَلِيم)

وَلَا يَدُّ لَطَالِبِ الْعِلْمِ مَنْ تَحْمِلُ الْمَشَقَّةَ وَالْمَذَلَّةَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ، وَالتَّمَلُّقُ مَذْمُومٌ إِلَّا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَإِنَّهُ لَا يَدُّ لَهُ مِنَ التَّمَلُّقِ الْأُسْتَاذَ وَالشَّرَكَاءَ وَغَيْرَهُمْ لِلاِسْتِفَادَةِ مِنْهُمْ ، قِيلَ : الْعِلْمُ عَزْ لَا ذُلَّ فِيهِ ، وَلَا يَدْرُكُ إِلَّا بِذُلٍّ لَاعْرِفِيهِ ، وَقَالَ الْقَائِلُ : أَرَى لَكَ نَفْسًا تَشْتَبِي أَنْ تُبْرَهًا فَلَسْتَ تَسَالُ الْغِرَّ حَتَّى تُذْهِبَا

### (فصل في الورع في حالة التعلم)

رَوَى بَعْضُهُمْ حَدِيثًا فِي هَذَا الْبَابِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : مَنْ لَمْ يَتَوَرَّعْ فِي تَعَلُّهِ ابْتِلَاؤُهُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَحَدٍ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ : إِمَّا أَنْ يُمِيتَهُ فِي شَبَابِهِ أَوْ يُوقِعَهُ فِي الرِّسَالَتَيْنِ <sup>(١)</sup> أَوْ يَبْتَلِيَهُ بِخِدْمَةِ السُّلْطَانِ ، فَهَمَّا كَانَ طَالِبُ الْعِلْمِ أَوْرَعَ ، كَانَ عَلَيْهِ أَنْفَعُ ، وَالتَّعَلُّمُ لَهُ أَيْسَرُ ، وَفَوَائِدُهُ أَكْثَرُ . وَمِنَ الْوَرَعِ الْكَامِلِ أَنْ يَحْتَرِزَ عَنِ الشَّبَعِ وَكَثْرَةِ النَّوْمِ ، وَكَثْرَةِ الْكَلَامِ فِيمَا لَا يَنْفَعُ ، وَأَنْ يَحْتَرِزَ عَنِ أَكْلِ طَعَامِ السُّوقِ إِنْ أُمِكَنَ لِأَنَّ

(١) الرسالتين جمع رستاق : وهو الرفيف والقرى ، والظاهر أن هذا الحديث موضوع .

طَعَامَ السُّوقِ أَقْرَبُ لِلنَّجَاسَةِ وَالْخِيَانَةِ ، وَأَبْعَدُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ، وَأَقْرَبُ إِلَى الْغَفْلَةِ ، وَلَئِنْ أَبْصَرَ الْفُقَرَاءُ تَقَعُّ عَلَيْهِ وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى الشَّرَاءِ مِنْهُ فَيَتَأَذُّونَ بِذَلِكَ فَتَذْهَبَ بَرَكَتُهُ

حُكِيَ أَنَّ الشَّيْخَ الْإِمَامَ الْجَلِيلَ مُحَمَّدَ بْنَ الْفَضْلِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَانَ فِي حَالٍ تَعَلُّهِ لَا يَأْكُلُ مِنْ طَعَامِ السُّوقِ ، وَكَانَ أَبُوهُ يَسْكُنُ فِي الرِّسْتَاقِ وَيَهْبِي لَهُ طَعَامَهُ وَيَدْخُلُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فَرَأَى فِي بَيْتِ ابْنِهِ خُبْزَ السُّوقِ يَوْمًا فَلَمْ يُكَلِّمُهُ سَاحِطًا عَلَيْهِ ، فَأَعْتَذَرَ ابْنُهُ وَقَالَ : مَا اشْتَرَيْتُهُ وَلَمْ أَرْضَ بِهِ ، وَلَكِنْ أَحْضَرَهُ شَرِيكِي . فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : لَوْ كُنْتَ تَحْتَاطُ وَتَتَوَرَّعُ عَنْ مِثْلِهِ لَمْ يَحْتَرِزْ شَرِيكَكَ عَلَى ذَلِكَ ، وَهَكَذَا كَانُوا يَتَوَرَّعُونَ ، فَلِذَلِكَ وَقَفُوا لِلْعِلْمِ وَالنَّشْرِ حَتَّى بَقِيَ أَسْمُهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَوَصَّى قَعِيَهُ مِنْ زُهَادِ الْفُقَهَاءِ طَالِبَ عِلْمٍ فَقَالَ لَهُ : عَلَيْكَ أَنْ تَحْتَرِزَ عَنِ الْغِيَةِ وَعَنِ بُجَالَسَةِ الْمَكْتَارِ <sup>(١)</sup> ، وَقَالَ إِنْ مِنْ يُكْثِرُ الْكَلَامَ يَسْرِقُ عُمَرُكَ ، وَيَضِيعُ أَوْقَانُكَ ، وَمِنَ الْوَرَعِ أَنْ

(١) المكثار : كثير الكلام .

يَحْتَلِبُ أَهْلُ الْفَسَادِ وَالْمَعَاصِي وَالْتَعَطِيلِ وَيَجَاوِرُ الصُّلَحَاءَ فَإِنَّ الْمَجَاوِرَةَ مُؤَثَّرَةٌ  
لِلْأَعْمَالَةِ ، وَأَنْ يَجْلِسَ مُسْتَقْبِلًا الْقِبْلَةَ وَيَكُونُ مُسْتَنًا <sup>(١)</sup> بِسَنَةِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
وَيَقْتَنِمَ دُعَاءَ أَهْلِ الْخَيْرِ وَيَحْتَرِزُ عَنْ دُعَاءِ الْمَظْلُومِينَ

حُكِيَ أَنَّ رَجُلَيْنِ خَرَجَا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ لِلْغُرَبَةِ ، وَكَانَا شَرِيكَيْنِ فِي الْعِلْمِ  
فَرَجَعَا بَعْدَ سَنَيْنَ إِلَى بِلَدِهِمَا وَقَدْ فَقَهُ أَحَدُهُمَا وَلَمْ يَفْقَهُ الْآخَرُ ، فَآمَلَ فَقَهَاءُ  
الْبِلَدَةِ وَسَأَلُوا عَنْ حَالِهِمَا وَتَكَرَّرَ لهما وَجُلُوسُهُمَا فَأُخْبِرُوا أَنَّ جُلُوسَ الَّذِي  
تَفَقَّهَ فِي حَالِ التَّكْرَارِ ، كَانَ مُسْتَقْبِلًا الْقِبْلَةَ وَالْمُصْرَ <sup>(٢)</sup> الَّذِي حَصَلَ الْعِلْمُ فِيهِ  
وَالْآخَرُ كَانَ مُسْتَدْبِرًا الْقِبْلَةَ وَوَجْهَهُ إِلَى غَيْرِ الْمُصْرِ ؛ فَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ وَالْفُقَهَاءُ  
أَنَّ الْفَقِيهَ فَقَهُ بِرُكَّةِ اسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ إِذْ هُوَ السَّنَةُ فِي الْجُلُوسِ ، إِلَّا عِنْدَ الضَّرُورَةِ  
وَبِرُكَّةِ دُعَاءِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّ الْمُصْرَ لَا يَخْلُو عَنْ الْعِبَادِ وَأَهْلِ الْخَيْرِ ، فَالظَّاهِرُ  
أَنَّ عَابِدًا مِنَ الْعِبَادِ دَعَا لَهُ فِي اللَّيْلِ ، فَيَنْبَغِي لَطَالِبُ الْعِلْمِ إِلَّا يَتَهَاوَنَ بِالْآدَابِ  
وَالسَّنَنِ فَإِنَّ مَنْ يَتَهَاوَنَ بِالْآدَابِ يُحْرَمُ السَّنَةُ وَمَنْ يَتَهَاوَنَ بِالسَّنَنِ حُرِمَ

(١) مستنًا : متبعا لسنة النبي (٢) مصر : المدينة

الْفَرَائِضَ وَمَنْ تَهَاوَنَ بِالْفَرَائِضِ حُرِمَ الْآخِرَةُ  
وَيَنْبَغِي أَنْ يُكْثِرَ الصَّلَاةَ وَيُصَلِّيَ صَلَاةَ الْخَاشِعِينَ فَإِنَّ ذَلِكَ عَوْنٌ لَهُ عَلَى  
التَّحْصِيلِ وَالتَّعَلُّمِ

أَشَدُّتُ لِلشَّيْخِ الْجَلِيلِ الزَّاهِدِ الْحَجَّاجِ نَجْمِ الدِّينِ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّسَفِيِّ :  
كُنْ لِلْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي حَافِظًا وَعَلَى الصَّلَاةِ مُوَظِّبًا وَمَحَافِظًا  
وَأَطْلُبْ عُلُومَ الشَّرْعِ وَاجْهَدْ وَاسْتَعِنْ بِالطَّيَّاتِ تَصِرْ فَقِيهًا حَافِظًا  
وَأَسْأَلُ إِمْلَكَ حِفْظَ حِفْظِكَ رَاغِبًا فِي فَضْلِهِ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا  
وَقَالَ أَيْضًا رَحِمَهُ اللَّهُ :

أَطِيعُوا وَاجِدُوا وَلَا تَكْسَلُوا وَأَنْتُمْ إِلَى رَبِّكُمْ تَرْجِعُونَ  
وَلَا تَهْجَعُوا نَفْيَارَ الْوَرَى قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ <sup>(١)</sup>  
وَيَنْبَغِي أَنْ يَسْتَصْحَبَ دَفْتَرًا عَلَى كُلِّ حَالٍ لِيُطَالِعَهُ ، وَقِيلَ مَنْ لَمْ يَكُنْ

(١) لا تهجعوا : لاتناموا ، وخيار : جمع خير بتشديد الباء المكسورة والورى : الخلق ، وفي الشعر اقتباس من القرآن .



لَهُ دَفْتَرٌ فِي كُمِهِ (١) لَمْ تَبْتَ الْحِكْمَةُ فِي قَلْبِهِ . وَيَبْنِي أَنْ يَكُونَ فِي الدَّفْتَرِ  
يَاضٌ لِيَكْتُبَ فِيهِ مَا سَمِعَهُ مِنْ أَفْوَاهِ الرِّجَالِ ، وَيَسْتَصْحِبُ الْحَبْرَةَ لِيَكْتُبَ  
مَا يَسْمَعُ وَقَدْ ذَكَرْنَا حَدِيثَ هَلَالِ بْنِ يَسَارٍ

### (فصل فيما يورث الحفظ)

وَأَقْوَى سَبَابِ الْحِفْظِ الْجِدُّ وَالْمُواظَعَةُ وَقَلِيلُ الْغِنَاءِ وَصَلَاةُ اللَّيْلِ  
وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ مِنْ أَسْبَابِ الْحِفْظِ ، قِيلَ : لَيْسَ شَيْءٌ أَزِيدَ لِلْحِفْظِ مِنْ  
قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ نَظَرًا (٢) . وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ نَظَرًا أَفْضَلُ . وَرَأَى شَدَادُ بْنُ  
حَكِيمٍ بَعْضَ إِخْوَانِهِ فِي الْمَنَامِ بَعْدَ وَفَاتِهِ فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ وَجَدْتَهُ أَنْفَعَ ؟ قَالَ  
قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ نَظَرًا ، وَيَقُولُ عِنْدَ رَفْعِ الْكِتَابِ : بِسْمِ اللَّهِ وَسُبْحَانَ اللَّهِ  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ  
الْعَظِيمِ الْعَزِيزِ عَدَدَ كُلِّ حَرْفٍ كُتِبَ وَيُكْتُبُ أَبَدَ الْآبِدِينَ وَدَهْرَ الدَّاهِرِينَ

(١) الكم : مدخل اليد ومخرجها من الثوب والمراد الجيب

(٢) نظراً أي تلاوة في المصحف .

وَيَقُولُ بَعْدَ كُلِّ مَكْتُوبَةٍ (١) آمَنْتُ بِاللَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ الْحَقِّ وَحْدَهُ  
لَا شَرِيكَ لَهُ . وَكَفَرْتُ بِمَا سِوَاهُ . وَيُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُ رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ ، قِيلَ :

شَكُوتُ إِلَى وَكَيْعٍ سُوءِ حِفْظِي فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي  
فَإِنَّ الْحِفْظَ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلُ اللَّهِ لَا يُهْدَى لِمَعَاصِي  
وَالسَّوَاءُ وَشَرْبُ الْعَسَلِ وَأَكْلُ الْكُنْدَرِ (٢) مَعَ السَّكْرِ ، وَأَكْلُ إِحْدَى  
وَعِشْرِينَ زَبِيَّةَ حَمْرَاءٍ كُلَّ يَوْمٍ عَلَى الرِّيقِ يُورِثُ الْحِفْظَ وَيَشْفِي مِنْ كَثِيرٍ  
مِنَ الْأَمْرَاضِ وَالْأَسْقَامِ . وَأَكْلُ مَا يَقْلِلُ الْبَلْغَمَ وَالرُّطُوبَاتِ يَزِيدُ فِي الْحِفْظِ  
وَأَمَّا مَا يُورِثُ النِّسْيَانَ فَلِلْمَعَاصِي وَكَثْرَةِ الذُّنُوبِ وَالْهُمُومِ وَالْأَحْزَانِ فِي  
أُمُورِ الدُّنْيَا وَكَثْرَةِ الْأَشْغَالِ وَالْعَلَاتِقِ ، وَكُلُّ مَا يَزِيدُ فِي الْبَلْغَمِ يُورِثُ  
النِّسْيَانَ وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّهُ لَا يَبْنِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَهْتَمَّ لِأَمْرِ الدُّنْيَا لِأَنَّهُ يَضُرُّ

(١) مكتوبة : أي صلاة مفروضة

(٢) الكندر بضم الكاف والذال : نوع من الملك (البان الذكر) .

ولا ينفع وهموم الدنيا لا تخلو عن الظلمة في القلب، وهموم الآخرة لا تخلو عن النور في القلب، ويظهر أثره في الصلاة، وهم الدنيا يمنعه عن الخير وهم الآخرة يحمله عليه، والاشتغال بالصلاة على الخشوع، وتحصيل العلم ينفي الهم والحزن كما قال الشيخ الإمام نصر بن الحسن المرغيناني في قصيدة له:

أَعْنَنَ نَصْرُ بْنُ حَسَنٍ بِكُلِّ عِلْمٍ يُخْتَزَنُ  
ذَلِكَ الَّذِي يَنْفِي الْحَزْنَ وَغَيْرُهُ لَا يُؤْمَنُ

وقال الشيخ الإمام الاجل نجم الدين عمر بن محمد النسفي في أم ولد له سلام على من تيمنت بطرفها ولمعة خديها ولحمة طرفها (١)  
سبنتي وأصبنتي فتاة مليحة تخيرت الأوهام في كنه وصفها (٢)

(١) تيمنتي: شغفتني حباً. لمعة الخدين: بريقهما ونضارتهما، لحمة طرفها: يقال لمح إليه بفتح الميم أي اختلس النظر إليه، والطرف: العين والمقصود هنا حسن النظر ورشاقة الالتفات

(٢) سبنتي: أمرتني. أصبنتي: شاقنتني وأهاجتني بشدة الصبا. الأوهام هنا بمعنى العقول. كنه وصفها: حقيقة وصفها، وإنما تخيرت العقول في حقيقة وصفها لأنها انبهرت بجمالها كما تنهر العين بضوء الشمس فلا تستطيع النظر إليها.

فَقُلْتُ ذَرِينِي وَأَعِذْ بِي فَإِنِّي شَغِفْتُ بِتَحْصِيلِ الْعُلُومِ وَكَشَفَهَا (١)  
وَلِي فِي طَلَابِ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ وَالتَّقَى غِنَى عَنْ غِنَاءِ الْغَانِيَاتِ وَعَرَفَهَا (٢)  
أَمَّا أَسْبَابُ نِسْيَانِ الْعِلْمِ فَأَكُلُّ الْكُزْبَةِ الرُّطْبَةِ وَأَكُلُّ الثَّفَاحِ الْحَامِضِ  
وَالنَّظَرَ إِلَى الْمَصْلُوبِ، وَقِرَاءَةُ لَوْحِ الْقُبُورِ، وَالْمُرُورُ بَيْنَ قِطَارِ الْجَمَالِ وَالْقَاءِ  
الْقَمَلِ الْحَيِّ عَلَى الْأَرْضِ، وَالْحِجَامَةُ عَلَى نُقْرَةِ الْقَفَا، كُلُّهَا تُورِثُ النَّسْيَانَ  
(فصل فيما يجلب الرزق وما يمنعه وما يزيد في العمر وما ينقص)

فَمَنْ لَا بُدَّ لَطَالِبِ الْعِلْمِ مِنَ الْقُوَّةِ وَمَعْرِفَةِ مَا يَزِيدُ فِيهِ وَمَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ  
وَالصَّحَّةِ لِيَتَفَرَّغَ طَالِبُ الْعِلْمِ لِلسَّعْيِ إِلَى غَرَضِهِ، وَفِي كُلِّ ذَلِكَ صَنَعُوا كُتُبًا  
فَأَوْرَدَتْ ههنا بعضها على سبيل الاختصار. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ: لَا يَرُدُّ الْقَدَرُ إِلَّا الدُّعَاءَ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبِرُّ، فَإِنَّ الرَّجُلَ  
لَيُحْرَمَ الرِّزْقُ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ.

(١) ذريني: اتركيني. أعذ بى: اسمح لى بالتخلي عن الاشتغال بجلب  
(٢) طلاب: طلب. غناء بكسر الغين: التلحين والتغنى. الغانيات: الجيلات،  
والعرف: بفتح العين الرائحة الطيبة.

ثَبَّتَ بِهَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ ارْتِكَابَ الذَّنْبِ سَبَبُ حَرَمَانِ الرِّزْقِ ، خُصُوصًا  
الْكُذْبَ فَإِنَّهُ يُورِثُ الْفَقْرَ وَقُدُورَ فِيهِ حَدِيثٌ خَاصٌّ ، وَكَذَا نَوْمُ الصُّبْحَةِ  
يَمْنَعُ الرِّزْقَ ، وَكَثْرَةُ النَّوْمِ تُورِثُ الْفَقْرَ وَقَدْ عَلِمَ أَيْضًا قَالَ الْقَائِلُ :  
سُرُورُ النَّاسِ فِي لُبْسِ اللَّبَاسِ وَجَمْعُ الْعِلْمِ فِي تَرْكِ النَّفْسِ  
وقال بعضهم :

أَلَيْسَ مِنَ الْخُسْرَانِ أَنْ لَيْلِيَا تَمُرُّ بِلاَ نَفْعٍ وَتُحْسَبُ مِنْ عَمْرِي  
وقال آخر :

قُمْ اللَّيْلَ يَا هَذَا لَعَلَّكَ تَرْتُدُّ إِلَى كَمْ تَنَامُ اللَّيْلَ وَالْعَمْرُ يُنْفَدُ  
وَالنَّوْمُ عُرْيَانًا ، وَالْبَوْلُ عُرْيَانًا ، وَالْأَكْلُ جُنْبًا ، وَالْأَكْلُ مُسْكِنًا عَلَى  
جَنْبٍ ، وَالتَّهَؤُنُ بِسُقَاطَةِ <sup>(١)</sup> الْمَائِدَةِ ، وَحَرْقُ قَشْرِ الْبَصْلِ وَالثُّومِ ، وَكَنْسُ  
الْبَيْتِ بِالْمِنْدِيلِ ، وَكَنْسُ الْبَيْتِ فِي اللَّيْلِ ، وَتَرْكُ الْقَهْمَةِ <sup>(٢)</sup> فِي الْبَيْتِ ؛

(١) سقاطة الشيء : ما يسقط منه عادة . المائدة : الخوان ، فسقاط المائدة  
موفقات الحيز ونحوه (٢) القهامة : الكناسة .

وَالْمَشْيُ قُدَامَ الْمَشَايِخِ وَنَدَاءُ الْأَبْوِينَ بِأَسْمِهِمَا ، وَالْخَلَالُ بِكُلِّ خَشَبَةٍ <sup>(١)</sup> ،  
وَعَسَلُ الْيَدَيْنِ بِالطَّيْنِ وَالتُّرَابِ ، وَالْجُلُوسُ عَلَى الْعَتَبَةِ وَالْإِنْتِكَاءُ عَلَى أَحَدٍ  
مِصْرَاعِي الْبَابِ ، وَالتَّوَضُّؤُ فِي الْمَبْرَزِ <sup>(٢)</sup> ، وَخِيَاطَةُ الثَّوبِ عَلَى بَدَنِهِ ،  
وَتَجْفِيفُ الْوَجْهِ بِالثَّوبِ ، وَتَرْكُ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ فِي الْبَيْتِ وَالتَّهَؤُنُ بِالصَّلَاةِ  
وَالسَّرَاعُ الْخُرُوجُ مِنَ الْمَسْجِدِ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ ، وَالْإِبْكَارُ بِالذَّهَابِ إِلَى  
السُّوقِ . وَالْإِبْطَاءُ فِي الرَّجُوعِ مِنْهُ ، وَشِرَاءُ كَثِيرَاتِ الْخَبْزِ مِنَ الْفُقَرَاءِ  
السُّؤَالُ وَدُعَاءُ الشَّرِّ عَلَى الْوَلَدِ ، وَتَرْكُ تَخْمِيرِ <sup>(٣)</sup> الْأَوَانِي ، وَإِطْفَاءُ السَّرَاجِ  
بِالنَّفْسِ ، كُلُّ ذَلِكَ يُورِثُ الْفَقْرَ ، عُرِفَ ذَلِكَ بِالْآثَارِ ، وَكَذَا الْكِتَابَةُ  
بِالْقَلَمِ الْمَعْقُودِ <sup>(٤)</sup> ، وَالْإِمْتِشَاطُ بِمِشْطٍ مُنْكَسِرٍ ، وَتَرْكُ الدُّعَاءِ بِالْخَيْرِ لِلْوَالِدَيْنِ  
وَالْتَّعَمُّ قَاعِدًا ، وَالتَّسْرُؤُ <sup>(٥)</sup> قَائِمًا ، وَالتَّبَخُلُ وَالتَّقْتِيرُ وَالْإِسْرَافُ

(١) الخلال : أى يخال أسنانه بأى شيء يحده ، والواجب أن يتخلل بهود  
الخلال لأنه رفيع وليس منه ضرر (٢) المبرز : مكان التبرز ، المرحاض  
(٣) تخمير الأواني : تنظيفها (٤) القلم المعقود : هو القلم الذى كسر ثم  
ربط بشيء ليتمكن استعماله (٥) التسرؤ لبس السروال .



وَالْكَسْلُ وَالتَّوَانِي، وَالتَّهَوُّنُ فِي الْأُمُورِ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اسْتَزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ»،  
وَالْبُكُورُ مُبَارَكٌ يَزِيدُ فِي جَمِيعِ النِّعَمِ خُصُوصًا فِي الرِّزْقِ، وَحُسْنُ الْخَطِّ  
مِنْ مَقَاتِلِ الرِّزْقِ، وَبَسْطُ الْوَجْهِ، وَطِيبُ الْكَلَامِ يَزِيدُ فِي الْخِفَظِ وَالرِّزْقِ.  
وَعَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كَتَسَ الْفَنَاءُ، وَغَسَلَ الْإِنَاءُ»،  
يَجْلِبُهُ النَّفْيُ، وَأَقْوَى الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِلرِّزْقِ: إِقَامَةُ الصَّلَاةِ بِالتَّعْظِيمِ  
وَالْحُشُوعِ وَتَعْدِيلُ الْأَرْكَانِ وَسَائِرُ وَاجِبَاتِهَا وَسُنَنِهَا وَأَدَائِهَا، وَصَلَاةُ  
الضُّحَى فِي ذَلِكَ مَعْرُوفَةٌ مَشْهُورَةٌ، وَقِرَاءَةُ سُورَةِ الْوَاقِعَةِ خُصُوصًا بِاللَّيْلِ  
وَقَتِ النَّوْمِ، وَقِرَاءَةُ سُورَةِ الْمُلْكِ وَالْمُزْمَلِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، وَالْمُتَرَجِّحُ  
لَكَ، وَحُضُورُ الْمَسْجِدِ قَبْلَ الْأَذَانِ، وَالْمُدَاوَمَةُ عَلَى الطَّهَارَةِ، وَأَدَاءُ سُنَّةِ  
الْفَجْرِ وَالْوُتْرِ فِي الْبَيْتِ، وَالْأَلَّا يَتَكَلَّمَ بِكَلَامِ الدُّنْيَا بَعْدَ الْوُتْرِ، وَلَا يُكْثِرُ  
مُجَالَسَةَ النِّسَاءِ إِلَّا عِنْدَ الْحَاجَةِ وَالْأَلَّا يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ لَفَوْ غَيْرِ مُفِيدٍ لِدِينِهِ وَدُنْيَاهُ

قِيلَ: مَنْ اشْتَغَلَ بِمَا لَا يَنْبَغِيهِ يَفُوتُهُ مَا يَنْبَغِيهِ (١) قَالَ بَزْرُجْهَرُ: إِذَا رَأَيْتَ  
الرَّجُلَ يُكْثِرُ الْكَلَامَ فَاسْتَيْقِنْ بِخُونِهِ. وَقَالَ عَلِيُّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: إِذَا  
تَمَّ الْعَقْلُ نَقَصَ الْكَلَامُ. وَقَالَ الْمُصَنِّفُ: اتَّفَقَ لِي هَذَا الْمَعْنَى:

إِذَا تَمَّ عَقْلُ الْمَرْءِ قَلَّ كَلَامُهُ وَأَيُّقِنْ بِخُونِ الْمَرْءِ إِنْ كَانَ مُكْثِرًا  
وَقَالَ آخَرُ:

التُّنْقُ زَيْنٌ وَالسُّكُوتُ سَلَامَةٌ فَإِذَا نَطَقْتَ فَلَا تُكُنْ مُكْثَرًا  
مَا لِنْ نَدِمْتُ عَلَى سُكُوتِي مَرَّةً وَلَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى الْكَلَامِ مَرَارًا (٢)

وَمَا يَزِيدُ فِي الرِّزْقِ أَنْ يَقُولَ كُلَّ يَوْمٍ بَعْدَ انْتِشَاقِ الْفَجْرِ إِلَى وَقْتِ  
الصَّلَاةِ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ اسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ  
إِلَيْهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، وَأَنْ يَقُولَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ»، كُلَّ يَوْمٍ  
صَبَاحًا وَمَسَاءً مِائَةَ مَرَّةٍ، وَأَنْ يَقُولَ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ كُلَّ يَوْمٍ: الْحَمْدُ لِلَّهِ  
وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً، وَبَعْدَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ  
أَيْضًا، وَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ أَرْبَعِينَ مَرَّةً بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَيُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ:

(١) يَعْنِيهِ: يَهْمُهُ (٢) مَا لِنْ نَدِمْتُ: أَيُّ مَا نَدِمْتُ فَإِنْ زَانِدَةٌ.

لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ وَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ  
وَسَلَّمَ وَيَقُولُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَبْعِينَ مَرَّةً: اللَّهُمَّ اغْنِنِي بِجَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ،  
وَكَفِّنِي بِفَضْلِكَ عَنْ سَوَاكَ، وَيَقُولُ هَذَا الثَّنَاءُ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ: أَنْتَ اللَّهُ  
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، أَنْتَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ، أَنْتَ اللَّهُ الْخَلِيمُ الْكَرِيمُ، أَنْتَ  
اللَّهُ خَالِقُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، أَنْتَ اللَّهُ خَالِقُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ  
عَالِمُ السَّرِّ وَالْخَفِيِّ، أَنْتَ اللَّهُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ، أَنْتَ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ  
يَعُودُ كُلُّ شَيْءٍ، أَنْتَ اللَّهُ دَيَّانٌ (١) يَوْمَ الدِّينِ لَمْ تَزَلْ وَلَا تَزَالُ، أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ  
إِلَّا أَنْتَ، أَنْتَ اللَّهُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ،  
أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَلِكُ  
الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِمِّنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ  
الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى، يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

وَمَا يَزِيدُ فِي الْعَمْرِ: الْبِرُّ وَتَرْكُ الْأَذَى، وَتَوْقِيرُ (٢) الشُّيُوخِ، وَصِلَةُ

الرَّحِمِ (١) وَأَنْ يَقُولَ حِينَ يُصْبِحُ وَيَمْسِي كُلَّ يَوْمٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: سُبْحَانَ  
اللَّهِ مِلءَ الْمِيزَانِ وَمُنْتَهَى الْعِلْمِ وَمَبْلَغِ الرِّضَا، وَزِنَةَ الْعَرْشِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ  
إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ مِلءَ الْمِيزَانِ، وَمُنْتَهَى الْعِلْمِ وَمَبْلَغِ الرِّضَا، وَزِنَةَ الْعَرْشِ.  
وَأَنْ يَخْتَرِزَ عَنْ قَطْعِ الْأَشْجَارِ الرُّطْبَةِ إِلَّا عِنْدَ الضَّرُورَةِ وَإِسْبَاغِ الرُّضُومِ  
وَالصَّلَاةِ بِالْتَعْظِيمِ، وَالْقِرَانِ بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَحِفْظِ الصَّحَةِ، وَلَا يَدُّ  
مَنْ أَنْ يَتَعَلَّمَ شَيْئًا مِنَ الطَّبِّ وَيَتَبَرَّكَ بِالْآثَارِ الْوَارِدَةِ فِي الطَّبِّ الَّتِي جَمَعَهَا  
الشَّيْخُ الْإِمَامُ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُسْتَفَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى بِطَبِّ  
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَجِدُهُ مَنْ يَطْلُبُهُ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى النَّحَامِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ أَفْضَلِ الرُّسُلِ الْكَرَامِ  
وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الْأَيِّمَةِ الْأَعْلَامِ، عَلَى مَرِّ الدَّهْوَرِ وَتَعَاقِبِ الْأَيَّامِ آمِينَ .

(١) صلة الرحم: بر الأهل والأقارب . جاء في الجامع الصغير أن النبي صلى الله  
عليه وآله وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ فِي أَمِّ الْكِتَابِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِينَ: إِنِّي أَنَا الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنْ لِسَمِي،  
فَنَ وَصَلْتُهَا وَصَلَتُهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ .»